العدد #11 2 مارس 2024 الإيداع القانوني: 2022/14 مدير النشر : يونس مسطين www.thevoice.ma

لورد ان المغرب

فرنسا والمغرب..

ساعة الغفران

افتتاحية

بورصة حزبية

من بين ردود الفعل التي توصلت بها عقب نشر مقالي الأخير المتعلق بـ"المسخ" الذي كشفه التقرير الأخير للمجلس الأعلى للحسابات حول التدبير المالي للأحزاب؛ رسالة من صديق ذكّرني بدراسة صدرت السنة الماضية عن مركز "تكامل"، والتي تحمل عنوان "الحزب الكارتل".

حاولت الدراسة فحص وضعية الأحزاب المغربية في علاقة بالتمويل العمومي، انطلاقا من النموذج الذي طرحه الباحثان ريشارد كاتز وبيتر مايير، والذي حاول تفسير تراجع الأحزاب السياسية في الديمقراطيات الغربية، بتزايد اعتمادها على الدعم المالي للدولة، ما يؤدي إلى إنتاج "بيروقراطية" تحول هذه الأحزاب إلى أدوات طيعة في يد الدولة.

من المعروف نظريا أن الدعم العمومي للأحزاب السياسية يوفر ضمانات لقيام هذه الهيئات بأدوارها الحيوية في التأطير والتعبئة السياسيين، لكنه ينطوي على مخاطر مثل تكريس الوضع القائم ومنع ديناميات التغيير، والحؤول دون بروز فاعلين جدد وإضعاف علاقة الأحزاب بالمجتمع...

لكنني، وكما أشرت في مقالي السابق، أعتبر أن التقرير الجديد للمجلس الأعلى للحسابات ينطوي على ما هو أخطر من الآثار السلبية للتمويل العمومي. نعرف أننا في المغرب في حلة تعتبر فيها جميع الأحزاب أدوات طيعة، بل رخوة، في يد الدولة، ولنتذكر تلك العبارة التي أطلقها الكاتب الأول الحالي لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، إدريس لشكر، حين صرخ مطالبا بالكف عن استعمال عبارة "حكومة جلالة الملك"، وإن المعارضة أيضا هي "معارضة جلالة الملك".ما أثارني أكثر في هذا التقرير هو الحالة الفريدة التي يمثلها حزب التجمع الوطني للأحرار، ليس في ارتباط بالمال العام، بل العكس تماما، حجم الأموال الخاصة التي استطاع تعبئتها و"استثمارها" في سعيه إلى السلطة، كما يقتضي التعريف البسيط للحزب السياسي.

تخبرنا الوثيقة الرسمية الجديدة أن هذا الحزب وحده يستأثر بثلث الموارد المالية التي حصل عليها 34 حزبا سياسيا معترفا به في "السوق السياسية" الوطنية. فمن أصل 153 مليون درهم التي تدفقت إلى حسابات الأحزاب، من جميع المصادر الخاصة والعمومية، حصل هذا الحزب وحده على أكثر من 50 مليون درهم.

وعندما ندقق أكثر في تركيبة هذه الموارد، نجد أن أكثر من نصفها عبارة عن "هبات وتبرعات"، بما يناهز 26 مليون ونصف مليون درهم. وإذا علمنا أن مجموع ما أنفقه الحزب خلال السنة التي يشملها التقرير (2022)، هو 32 مليون ونصف

"هذا الحزب يستأثر بثلث الموارد المالية التي حصل عليها 34 حزبا سياسيا معترفا به في "السوق السياسية"

مليون درهم، فإننا نصبح أمام حزب فريد من نوعه في المشهد السياسي المغربي، لأنه يحقق الاستقلال المالي كليا، بما أن مداخيل واجبات انخراط ومساهمات الأعضاء يكاد يبلغ الخمسة ملايين درهم. سيقول لي البعض ما بك تتحفظ على حالة نادرة لحزب لا يحتاج إلى مال عام كي يقوم بـ"وظيفته"؟ والجواب هو أن المنطق يغيب عن هذه الحالة، لأن أعتى الأحزاب الاشتراكية وأحزاب الجماهير (في مقابل أحزاب الأطر) في أعرق الديمقراطيات، لا تحقق هذه الاستقلالية المالية رغم ملايين الأتباع والمنخرطين. ولا أظن أن أي كبشين سيتناطحان حول افتقاد حزب الحمامة لصفة حزب الجماهير. ثم إن الأمر لا يتعلق بتمويل الأعضاء والمنخرطين، بل بأكثر من مليارين ونصف مليار كلها عبارة عن هبات وتبرعات.هناك مخاطر كبيرة ترتبط بالتمويل الخاص للأحزاب السياسية، منها عزل الأحزاب كليا عن الدولة والمجتمع معا، لأن الأحزاب التي تعتمد على المال العام على الأقل نعرف أن ولاءها للدولة. كما يسمح تمويل الأحزاب من طرف الرأسمال الخاص بتمكين شخص او فئة من الأغنياء والنافذين من الوصول إلى السلطة وتحقيق أهدافهم الذاتية.كل التجارب الديمقراطية تضع قيودا تحد من تأثير المال الخاص في الأحزاب، حيث منعت فرنسا منذ 1995 تبرع الشركات الخاصة للأحزاب، وسبقتها هولندا إلى ذلك من الستينيات، وتمنع بريطانيا منطق التبرع بشكل شبه كلي وتضع لائحة حصرية بمن يمكنهم تقديم هبات للأحزاب، بينما تعتمد ألمانيا قائمة بالجهات التي لا يمكنها أن تتبرع للأحزاب، حيث تبقى حصة التبرعات من موارد الأحزاب الألمانية أقل من 10 في المائة...

في حالة الحزب المتصدر للمشهد المغربي حاليا، نحن أمام أكثر من 50 في المئة من الموارد كهبات وتبرعات. والقانون التنظيمي للأحزاب السياسية يسمح للشخص الواحد بتبرع سنوي يصل إلى 60 مليون سنتيم، أي أن "كارتل" من 50 شخصا يمكنهم توفير الـ26 مليون التي حازها الحزب في سنة واحدة، وهو مبلغ يفوق مجموع موارد حزب الاستقلال مثلا.

أي أن قوانيننا تسمح لشخص واحد، بتمويل حزب سياسي ضخم، عبر جمع بضع عشرات من الموالين وجعلهم متبرعين صوريين... وفي هذا الحالة لا نكون أمام "الحزب الكارتل"، والذي يعني ذلك التكتل الذي يتواطأ للتحكم في الأسعار في سوق معينة، بل نصبح أمام مقاولة في بورصة السياسة.

يونس مسكين

the Voice صوت المغرب
باقة برامج متنوعة
في انتظاركم
أصل الحكاية
كرين
إيكوترند
صوت البرلمان
نبراس
من الرباط

بعد أزمات متتالية بوادر انفراج في علاقات البلدين

فرنسا والمغرب.. ساعة الغفران

لسان المغرب

تعد فرنسا حليفا استراتيجيا للمغرب، لكن يبدو أنها أساءت التقدير في عهد الرئيس ماكرون، لسببين على الأرجح: الأول، حين اختارت الجزائر على حساب المغرب للحفاظ على نفوذها وتعزيز مصالحها في غرب افريقيا، والثاني بسبب مزاحمة مصالحها في المغرب من لدن شركائه الجدد، مثل الصين وإسبانيا وتركيا والبرازيل، علما أنهم شركاء لفرنسا كذلك، وهي مفارقة لافتة.

خلال هذا خلال هذا الأسبوع، أكد استقبال الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، يوم الخميس 29 فبراير 2024، سفيرة المغرب الجديدة في باريس، سميرة سيتايل، المنحى الإيجابي لتطور العلاقات المغربية الفرنسية، والذي كان تعيين سيتايل في هذا المنصب شهر أكتوبر الماضي، أول مؤشراته.

استقبال سيتايل في قصر الإليزيه لتقديم أوراق اعتمادها لرئيس الجمهورية الفرنسية بشكل رسمي، جاء بعد ثلاثة أيام من الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الفرنسي، ستيفان سيجورني، للمغرب، في خطوة اعتبرت نهاية لأزمة عميقة مرت بها العلاقات المغربية الفرنسية في الشهور الماضية.

حسابات فرنسا الخاطئة تدفعها اليوم إلى التدارك، وبالتالي المسارعة إلى المصالحة مع المغرب، حتى لا تخسر أكثر سواء داخل المغرب أو في افريقيا، خصوصا في ظل تنامي مركبات مصالح جديدة ترى أن النموذج الفرنسي عائقا وليس فرصة. وهي الخطوة التي تطلبت من ماكرون تغييرا حكوميا في يناير الماضي، ترتب عليه تكليف فريق جديد لتسوية الأزمة مع المغرب، وهي مهمة كشف عنها سيجورني صراحة، وترتب عليها اتخاذ الخطوات اللازمة التي سبقت الإشارة إلى بعضها، مثل الاستقبال الحميمي للأميرات المغربيات الثلاث في قصر الإليزيه، ما سمح للرئيس ماكرون باقتناص الفرصة لمهاتفة الملك محمد السادس، ومن تم زيارة سيجورني إلى الرباط، من أجل طي الأزمة. لكن السؤال هو مقابل ماذا؟

اسماعيل الحمودي

عادت العلاقات بين المغرب وفرنسا إلى أجندة النقاش العمومي في البلدين، بعد ثلاث سنوات من الجفاء، إثر الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الفرنسي الجديد، ستيفاني سيجورنيه، الاثنين الماضي، إلى المغرب، في أول زيارة له خارج فرنسا.

التقى الوزير الفرنسي نظيره المغربي، ناصر بوريطة، لعدة ساعات، انتهت بعقد مؤتمر صحفي مشترك، عبّر فيه الطرفان عن نواياهما الحسنة لطي صفحة الأزمة الدبلوماسية التي طبعت علاقاتهما، والإعلان عن خوض حوار بين البلدين لاستكشاف فرص التوافق الممكنة، تسمح بطي الأزمة وإقامة شراكة "استثنائية" متجددة على أساس "الاحترام المتبادل".

زيارة وزير الخارجية الفرنسي إلى الرباط جاءت تتويجا لعدة مؤشرات في مسار الانفراج الدبلوماسي والسياسي، بدأت في أكتوبر الماضي بتعيين المغرب سفيرة له في باريس، مقابل تسلم أوراق اعتماد السفير الفرنسي في الرباط بعد سنة من تعيينه. علاوة على زيارة مسؤول أمني فرنسي للرباط في دجنبر الماضي، حيث عقد جلستي عمل مع نظرائه المغاربة حول التعاون الأمني والاستخباراتي.

وفي منتصف فبراير المنصرم، كشف السفير الفرنسي بالرباط عن حوار قائم من أجل إعادة بناء الثقة بينهما، مؤكدا أنه سيكون من "الوهم وعدم الاحترام" الاعتقاد بإمكانية بناء مستقبل مشترك بين البلدين دون موقف واضح لفرنسا من مغربية الصحراء، وصولا إلى الحدث الأهم والأكثر حميمية المتمثل في استقبال الأميرات لالا مريم، وللا أسماء، وللا حسناء، في باريس يوم الاثنين الماضي، من لدن زوجة الرئيس الفرنسي، بريجيت ماكرون، حيث جرت على هامشها مكالمة هاتفية بين الملك محمد السادس والرئيس الفرنسي، لتفتح الطريق أمام زيارة سيجورني الذي أعلن طي الأزمة، والشروع في بناء أجندة جديدة للعلاقات بين البلدين.

فما هي تجليات الأزمة بين البلدين؟ وما الخلفيات التي دفعت الوزير الفرنسي لزيارة الرباط قبل أية عاصمة أخرى في المنطقة؟ وهل قدمت باريس الأجوبة اللازمة حول الأسئلة المعلقة بشأن العلاقات بين البلدين؟

أولا: تجليات الأزمة

تربط بين فرنسا والمغرب علاقات استراتيجية خاصة جدا. لكنها عرفت في السنوات الأخيرة حالة أزمة عميقة، كادت تصل حد القطيعة بين مسؤولي البلدين، خصوصا منذ إعادة انتخاب الرئيس ماكرون لولاية رئاسية ثانية.

الملاحظ أن الأزمة بين البلدين خرجت للعلن مباشرة بعد الاعتراف الأمريكي بالسيادة المغربية على الصحراء، وتطبيع العلاقات بين المغرب وإسرائيل، ثم حديث الملك محمد السادس بمناسبة ذكرى توليه الحكم في يوليوز 2021، عن ضرورة انخراط حلفاء المغرب الآخرين، ومنهم فرنسا، في دينامية الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء، مؤكدا أن ملف الصحراء هو "النظارة التي ينظر بها المغرب إلى العالم"، مشددا على أنه "المعيار الواضح والبسيط، الذي يقيس به صدق الصداقات، ونجاعة الشراكات".

وبينما كان المغرب منتشيا بانتصاراته الدبلوماسية تلك، ساءت العلاقات مع فرنسا فجأة، بحيث تفجرت سلسلة وقائع دلّت على وجود أزمة. أول واقعة في هذا السياق تمثلت في حملة لمنظمات حقوقية وبعض وسائل الإعلام الفرنسي ضد المغرب، منذ يوليوز 2021، بذريعة عمليات "تجسس" على هواتف مسؤولين فرنسيين. وقد وجهت تلك الأطراف اتهامات مباشرة للمصالح الأمنية المغربية باستعمال

صورة مركبة

برنامج "بيغاسوس" لاختراق هواتف العديد من الشخصيات الفرنسية، بمن فيهم الرئيس إيمانويل ماكرون.

نفى المغرب تلك المزاعم، مؤكدا أن وسائل الإعلام الفرنسية تروج "اتهامات خطيرة ضد المؤسسات المغربية بدون تقديم أية أدلة ملموسة". وخلال الشهر نفسه، قام بتوكيل محام فرنسي لرفع دعاوى قضائية بتهم التشهير أمام محكمة الجنايات في باريس، ضد عدد من المنظمات الحقوقية وصحف فرنسية بينهم "لوموند" ومنظمة العفو الدولية.

وفي شتنبر 2021، قررت فرنسا، من جانب واحد، تقليص عدد التأشيرات المخصصة لمواطني الدول المغاربية؛ تونس والجزائر والمغرب، فقلصت العدد بالنسبة للمواطنين المغاربة بـ50%، بمبرر عدم تعاون الحكومة المغربية في ملف المهاجرين في وضعية غير قانونية بفرنسا، وهو الموقف الذي أزعج المغرب، فوصفه بـ"غير المبرر"، مثلما أغضب المواطنين المغاربة الذين تربطهم مصالح عديدة بالدولة الفرنسية.

من المؤكد أن القرار ألحق أضرارا بصورة فرنسا، ما دفعها إلى إعادة النظر في القرار، منذ دجنبر 2022، حيث أعلنت وزيرة الخارجية الفرنسية أثناء زيارة لها إلى المغرب، في ندوة صحفية مشتركة مع الوزير بوريطة، أن فرنسا قررت إنهاء أزمة التأشيرات. لكن الوزير بوريطة تلقى الموقف ببرودة شديدة، حيث اكتفى بالقول إن القرار الفرنسي كان "أحادي الجانب، ولن نعلق عليه رسميا"، مشيرا إلى ردود فعل شعبية وسياسية رافضة.

وقد تميزت سنة 2022 بسحب السفراء من الطرفين، ففي حين جرى سحب السفيرة الفرنسية، هيلين لوغال، أواخر شتنبر، بعد ثلاث سنوات من عملها على رأس البعثة الدبلوماسية الفرنسية في الرباط، حيث جرى إعادة تعيينها مديرة عامة للشرق الأوسط وشمال افريقيا في الاتحاد الأوربي، لوحظ أن المغرب قام باستدعاء سفيره في باريس، محمد بنشعبون، ثم تعيينه على رأس صندوق محمد السادس للاستثمار. ويمثل سحب السفيرين مؤشرا قويا على تصعيد التوتر والأزمة بين البلدين. ورغم أن فرنسا أعادت تعيين سفير لها في الرباط، في نونبر 2022، إلا أنه لم يستقبل من لدن الملك لتقديم أوراق اعتماده إلا في أكتوبر 2023، أياما بعد تعيين سميرة سيطايل سفيرة للمغرب في فرنسا، بعد شغور منصب السفير لمدة تزيد على العام.

ومن بين أقوى مؤشرات الأزمة، إرجاء زيارة مقررة للرئيس الفرنسي ماكرون إلى المغرب خلال سنة 2022 عدة مرات، بعدما اتضح أنه غيّر وجهته الاستراتيجية نحو الجزائر. وفي مارس 2023، قال ماكرون إن علاقته بالملك محمد السادس "ودية"، ليرد عليه مسؤول مغربي عبر مجلة "جون أفريك" بأن العلاقات بين البلدين "ليست ودية ولا جيدة". وفي شتنبر 2023، صرّحت وزيرة الخارجية الفرنسية بأن الرئيس ماكرون تلقى دعوة رسمية من الملك لزيارة المغرب، إلا أن مصدرا حكوميا مغربيا ردّ عليها، من خلال وكالة الأنباء الرسمية، بالقول "إن زيارة ماكرون ليست مدرجة في جدول الأعمال، ولا مبرمجة".

ثانيا: حسابات فرنسا الخاطئة

تعكس المؤشرات السابقة تجليات الأزمة لا خلفياتها العميقة. وتتمثل تلك الخلفيات، وفق تحليلات عديدة، في ثلاثة تحولات جيوسياسية دفعت صانع القرار الفرنسي إلى القيام بحسابات خاطئة، أفضت إلى الأزمة بين البلدين، والتي يبحثان لها حاليا عن حلول، ومن أجلها جاء سيجورني إلى الرباط يوم الاثنين الماضي.

أول تلك التحولات، ارتبط بالقرار

يتبع...

ملف

زكرياء كارتي*: البرود السياسي لا يهدد المصالح الفرنسية في المغرب

س: هل تأثرت العلاقات الفرنسية المغربية اقتصاديا بالأزمات المتتالية التي جرت بين البلدين في الأعوام الأخيرة؟

ج: طبعا، يمكن القول إن العلاقات بين المغرب وفرنسا الاقتصادية تأثرت بالمشاكل السياسية، وهنا لابد أن نسرد مثال زيارة العمل التي كان سيقوم بها مثل رئيس الباطرونا في فرنسا، "لو مديف"، في يونيو 2023، وتم تأجيلها في آخر لحظة، حتى أن شكيب لعلج، رئيس الاتحاد العام لمقاولات المغرب، يقال إنه طلب من رئيس الباطرونا الفرنسية تأجيل هذه الزيارة لأن الظروف بين فرنسا المغرب غير مناسبة والعلاقات السياسية سيئة.

س: هل يسحب الفاعلون الدوليون الآخرون، مثل إسبانيا وبريطانيا وألمانيا ودول الخليج العربي، بساط الريادة في الاقتصاد المغربي من فرنسا؟

ج: لا اعتقد أن بريطانيا سيكون لها يوما دورا في الاقتصاد المغربي، أولا لأن بريطانيا تحاول بعد خروجها من "البريكست" أن تقوي علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية وأن تكون لها مبادلات حرة معها، إضافة إلى المستعمرات السابقة، خصوصا الهند.

بريطانيا بعيدة كل البعد ثقافيا عن المغرب، والعلاقات التجارية لن تتعدى استيراد المواد الفلاحية في أفضل الحالات وأشياء أخرى، بالإضافة إلى أن بريطانيا تتراجع كقوة صناعية في العالم، وبالتالي لا اعتقد أنه سيكون لها مستقبل كبير في المغرب.

أما بالنسبة لألمانيا، صحيح أن هناك مشاريع مهمة تربطها بالمغرب في مجال الطاقة، والتعاون الدولي، وستكون أحسن من بريطانيا ولكن ليس كثيرا. بالنسبة لي، مستقبل المغرب مع ثلاث دول هي إسبانيا وفرنسا والإمارات...

س: الإمارات أيضا؟

ج: نعم، فهذه الأخيرة لها روابط سياسية قوية مع المغرب ولها استراتيجية توسعية، ليس بالمعنى القدحي، بحيث لم تعد تريد أن تضخ فقط الدولار في البنوك المركزية ولكنها تسعى لعلاقة استثمارية مع شركائها، مثلا في مصر لديها اهتمامات بالخوصصة، وربما تستغل الأزمة المالية التي تعيشها مصر من أجل المشاركة في عملية خوصصة المؤسسات العمومية، في المغرب هذا الأمر لن يحدث بحكم المناعة والأهمية التي تعطى للاقتصاد المغربي الذي يرفض الخوصصة.

هناك مشاريع إماراتية كثيرة في المغرب في مجال العقار وإدارة الموانئ والطاقة الشمسية والطاقات المتجددة، لكن، بالنسبة لي، تبقى فرنسا اللاعب الأهم بالنسبة للمغرب، ثم تأتي بعدها إسبانيا. ولابد من الإشارة إلى أن فرنسا تستفيد من القرب الثقافي مع النخب المغربية وهذا أمر لا يجب أن نستهين به، كما أن تراجع دورها الاقتصادي في غرب إفريقيا وصعوبة الاعتماد على جار متذبذب كالجزائر، والذي لا يعتبر قوة اقتصادية مهمة، ما عدا في الأمور النفطية، فإن المغرب تبقى له أهمية كبيرة بالنسبة لفرنسا وستبقى النخبة الثقافية والسياسية في المغرب تحتضن فرنسا، ولا أتوقع أن يتغير هذا الأمر في المستقبل القريب.

س: هل من تحول نوعي، من حيث مجالات الحضور والاستثمار، طرأ على العلاقات الاقتصادية المغربية الفرنسية في الفترة الأخيرة؟

ج: هناك العديد من المشاكل التي واجهتها بعض الشركات الفرنسية في المغرب، مثل شركات التدبير المفوض للماء والكهرباء في عدد من المدن كالرباط والدار البيضاء وطنجة، والتي راج أنه سيتم تعويضها بشركات جهوية متعددة الخدمات، وكان هناك تحالف كبير بين شركة "سويز" التي تملك ليديك، و"فيوليا"، غير أن الشركة التي استحوذت على "فيوليا" لم تطلب ترخيصا من مجلس المنافسة في المغرب، بحكم أنها تحتكم أيضا على "فيوليا" في المغرب. ورأينا كيف أن مجلس المنافسة وجه في أكتوبر 2021 تحذيرا للشركة الفرنسية وقال إنها لم تحترم قانون المنافسة في المغرب، ولكن في الأخير تم التوافق حول حل على شاكلة التوافق الذي تم مع شركات المحروقات.

س: هل يمكن القول إن ما وقع مع هذه الشركات له علاقة بالعلاقات الفرنسية المغربية المتدبدبة أنذاك، أم مرتبط فقط باحترام القانون؟

ج: من الناحية القانونية ما أقدم عليه مجلس المنافسة كان قانونيا مائة بالمائة، وبالتالي فهذه الاستنتاجات تبقى مجرد تخمينات، فأن تخسر شركات صفقات ما، أمر طبيعي ويقع، لكن في المقابل هناك شركة أخرى للطاقة هي "انجيل" حصلت على عقد مهم مع الهولدينغ الملكي في مجال الطاقات المتجددة.

من ناحية أخرى، تبقى "رونو" و"بوجو" شركات قوية لها حضور كبير في السوق المغربي، وهذه الشركات حتى ولو تدهورت العلاقات المغربية الفرنسية فهي لا تخضع للرقابة السياسية في فرنسا لأنها شركات تنتج السيارات الأكثر تنافسية في العالم، وبالتالي تبقى الأهمية الاقتصادية لهذه الشركات أقوى من أي مشاكل سياسية.

هناك أيضا حالة بنك "مصرف المغرب" الذي تم شراؤه من طرف عائلة بنصالح، التي حصلت على حصة الشركة الفرنسية في البنك، وهنا يمكن أن نتساءل هل الأمر يتعلق فقط بمعاملة تجارية أم رغبة في إخراج البنوك الفرنسية من المغرب؟

الخلاصة، أنه من الصعب الإقرار بأن الشركات الفرنسية تعرضت لمشاكل بسبب الأزمة السياسية بين المغرب وفرنسا، صحيح هناك أمثلة تؤكد ذلك، فمثلا في 2021 كانت الشركة الفرنسية "ايفاج" مرشحة بقوة للحصول على صفقة بناء ميناء الداخلة، وفي آخر لحظة غيّر عبد القادر عمارة الأجندة، ويقال إنه وجه رسالة سياسية أبعدت "إيفاج". وفي الأخير حاز الصفقة تجمع شركات مغربية.

هناك شركات أخرى يمكن سردها كمثال في هذا الباب، مثل شركة "تافال كروب" التي كان لها عقد مهم مع الوكالة الوطنية للموانئ وتم إبعادها، ويقال أيضا إن فرنسا لن تحصل على صفقة "تيجيفي" الدار البيضاء مراكش، وأن الصفقة ستعتمد على شركات أخرى إما صينية أو إسبانية، لكن الأمور غير واضحة لحد الآن، صحيح أن شركات صينية حصلت على صفقات الدراسات المتعلقة ببداية المشروع، وتم إبعاد الشركة الفرنسية "آل ستوم"، لكن لاشيء مؤكد إلى الآن.

طبعا كان هناك تأثير سياسي، وصفقة "إيفاج" المتعلقة بميناء الداخلة، شخصيا أعتقد أنه كانت وراءها خلفيات سياسية. هناك بعض المناوشات، لكنها لا ترقى إلى أزمة اقتصادية تمس الشركات الفرنسية في المغرب.

الحقيقة المؤكدة هي أن فرنسا تبقى الفاعل الاقتصادي الأكثر أهمية في المغرب بالإضافة إلى إسبانيا، والمغرب يعرف ذلك، ودائما كانت إرادة من الجانبين، وهذا ما أكده مسؤولون فرنسيون أيضا، أي أنه رغم البرود السياسي فذلك لا يصل إلى تهديد المصالح الفرنسية في المغرب.

***خبير في الشؤون الاقتصادية والمالية**

الأمريكي الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء في دجنبر 2020، وهو موقف كانت له تداعيات عديدة؛ منها تعميق التحالف العسكري والأمني الأمريكي المغربي، والإقرار الأمريكي بالمغرب قوة إقليمية، بالموازاة مع نسج تحالف مغربي إسرائيلي تحت رعاية أمريكية كذلك، وهو التطور الذي دفع عدة دول إلى تعديل حساباتها الاستراتيجية إزاء المملكة، خصوصا داخل القارة الأوربية، كما يدل على ذلك عدد الدول التي أعلنت دعمها لمبادرة الحكم الذاتي في الصحراء، وأبرزها إسبانيا، القوة الاستعمارية السابقة، والتي سايرت الموقف الأمريكي بسرعة، وتتجه بخطى ثابتة لتصبح الشريك الاقتصادي الأول للمغرب، وربما المستثمر الأول خلال العقد المقبل. إزاء ذلك التحول، اختارت فرنسا التجاهل وربما العناد، فالمغرب حين أعلن صراحة أن الصحراء هي النظارة التي ينظر منها للصداقات والشراكات، كانت فرنسا أول المعنيين بذلك الموقف، لكنها ردت بيرود، بحجة أنها أول من أعلنت دعم مبادرة الحكم الذاتي سنة 2007، بل غضت الطرف عن بعض القوى داخلها لمناكفة المصالح المغربية داخل أوربا، من خلال دعم توصيات البرلمان الأوربي حول حرية التعبير والصحافة.

التحول الثاني، تمثل في تعزيز النفوذ المغربي في غرب افريقيا، عبر مداخل متعددة: أمنية وعسكرية، اقتصادية وتجارية، سياسية ودينية؛ ومن تم نسج تحالفات ثنائية مع الدول الإفريقية، التي انعكست على مواقفها من مغربية الصحراء.

وقد استفاد بناء النفوذ المغربي في تلك المنطقة من تقاطعات المصالح مع أمريكا وإسرائيل وبعض دول الخليج، جعلته فاعلا في قلب التفاعلات الإقليمية والدولية، كما تعبر عن ذلك المبادرات الهيكلية التي تقدم بها مثل "خط الغاز نيجيريا- المغرب" الذي يشمل 13 دول افريقية، علاوة على مبادرة ربط دول حبيسة بالساحل الأطلسي...

إزاء ذلك، اختارت فرنسا-ماكرون الرهان على الجزائر، ليتبين بعد أقل من سنتين أنه رهان خاسر، خصوصا بعد الانقلابات العسكرية في مالي والنيجر وبوركينافاسو، والتي كانت على حساب النفوذ الفرنسي والجزائري في منطقة الساحل، في الوقت الذي تعزز فيه النفوذ المغربي أكثر، كما يؤشر على ذلك انخراط الدول التي شهدت الانقلابات، إضافة إلى تشاد وموريتانيا، في مبادرة الساحل- الأطلسي.

التحول الثالث يتمثل في انفتاح المغرب على قوى دولية وإقليمية، وفق سياسة تقوم على التمييز في علاقاته الخارجية بين ثلاثة مستويات: الحليف والشريك والمتعاون. يقوم التحالف على التقدير المتبادل للمصالح الحيوية والوجودية للطرفين، وتأتي وعلى رأسها بالنسبة للمغرب قضية الصحراء، واستقرار النظام السياسي. أما الشراكة فتقوم على تقاسم المصالح المشتركة وفق منطق رابح- رابح. في حين يقوم التعاون على تبادل المنافع وفق مجالات محددة ومتفق عليها. تعد فرنسا، وفق هذا التوصيف، حليفا استراتيجيا للمغرب، لكن يبدو أنها أساءت التقدير في عهد الرئيس ماكرون، لسببين على الأرجح: الأول، حين اختارت الجزائر على حساب المغرب للحفاظ على نفوذها وتعزيز مصالحها في غرب افريقيا، والثاني بسبب مزاحمة مصالحها في المغرب من لدن شركائه الجدد، مثل الصين وإسبانيا وتركيا والبرازيل، علما أنهم شركاء لفرنسا كذلك، وهي مفارقة لافتة.

حسابات فرنسا الخاطئة تدفعها اليوم إلى التدارك، وبالتالي المسارعة إلى المصالحة مع المغرب، حتى لا تخسر أكثر سواء داخل المغرب أو في افريقيا، خصوصا في ظل تنامي مركبات مصالح جديدة ترى أن النموذج الفرنسي عائقا وليس فرصة. وهي الخطوة التي تطلبت من ماكرون تغييرا حكوميا في يناير الماضي، ترتب عليه تكليف فريق جديد لتسوية الأزمة مع المغرب، وهي مهمة كشف عنها سيجورني صراحة، وترتب عليها اتخاذ الخطوات اللازمة التي سبقت الإشارة إلى بعضها، مثل الاستقبال الحميمي للأميرات المغربيات الثلاث في قصر الإليزيه، ما سمح للرئيس ماكرون باقتناص الفرصة لمهاتفة الملك محمد السادس، ومن تم زيارة سيجورني إلى الرباط، من أجل طي الأزمة. لكن السؤال هو مقابل ماذا؟

الأسئلة أكثر من الأجوبة

أخذا بعين الاعتبار التحولات السابقة، وحسابات فرنسا الخاطئة بشأنها، يمكن القول إن زيارة سيجورني إلى الرباط يوم الاثنين 26 فبراير لم تقدم الكثير من الأجوبة. بخصوص قضية الصحراء مثلا، أقر المسؤول الفرنسي أن بلاده تدرك بأنها قضية وجودية للمغرب، بيد أنه لم يتزحزح عن الموقف الكلاسيكي لفرنسا، أي الدعم المستمر لمبادرة الحكم الذاتي في إطار قرارات مجلس الأمن والشرعية الدولية. معنى ذلك أنه لم يأت بجديد، أو على الأقل لم يكشف للرأي العام المغربي أي شيء جديد بخصوص إمكانية التقدم خطوات أخرى إلى الأمام، اللهم ما يتعلق بفتح بعض المؤسسات التعليمية والثقافية في مدينتي الداخلة والعيون، وهو شيء ليس بالجديد كذلك، علما أن السفير الفرنسي في المغرب، كريستوف لوكورتيي سبق له القول، في محاضرة له بالدار البيضاء قبل أسابيع، إنه لا يمكن بناء أي شيء بين البلدين بدون الأخذ بعين الاعتبار إحراز تقدم في الموقف الفرنسي من قضية الصحراء. حين سئل الوزير سيجورني حول التقدم الممكن في موقف الجمهورية، أشار إلى أن فرنسا تريد مواكبة مشاريع التنمية في المنطقة، معلنا استعداد بلاده للتفاوض من أجل إبرام شراكة لمدة 30 عاما المقبلة، ما يعني أنه ترك الباب مشرعة على جميع الاحتمالات، ورهن عملية التفاوض الجارية بين البلدين. وعموما، يبدو الموقف الفرنسي، كما عبّر عنه سيجورني، أقل مما كان متوقعا، ولا يبدو أنه يلبي تطلعات المغاربة، حكومة وشعبا، والذين لن يقبلوا من فرنسا بأقل من الموقف الأمريكي، أي الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء، ثم دعم مبادرة الحكم الذاتي بوصفها آلية لحل النزاع الإقليمي مع الجزائر وجبهة البوليساريو.ما هو مؤكد حتى الآن هو أن زيارة سيجورني ربما سعت إلى إطلاق دينامية جديدة في العلاقات بين البلدين، وبالتالي وقف حالة الأزمة التي ظلت تخيم على العلاقات بينهما. متحدثا عن استعداد بلاده لإقامة "شراكة استثنائية"، مشيرا إلى زيارة مرتقبة لوزير الاقتصاد ووزيرة الثقافة، حيث ينتظر الإعلان عن "أمور معينة" لم يكشف عنها، كما تحدث عن الحاجة إلى "خارطة طريق واضحة وطموحة"، وعن مباحثات شملت "كيفية العمل بشكل منسق في القارة الافريقية"، مخصصا بالذكر منطقة الساحل، "باعتبارنا شريكين لهما مصالح متقاربة في هذه المناطق، ويمكن لنا أن نشتغل كشريكين". تعليقات الوزير بوريطة كشفت أن طي الأزمة لم يتم بعد، وأن الأمور في بدايتها، وقد تحتاج إلى وقت أطول للحوار والتوافق، لأن العلاقات بين البلدين رغم فرادتها وعمقها التاريخي، يقول بوريطة، فهي بحاجة إلى التجديد والتطوير في المقاربة والمضمون والفاعلين لكي تساير التطورات التي يشهدها العالم، ويشهدها المغرب، الذي أصبح فاعلا إقليميا في محيطه وفي إفريقيا والمتوسط والعالم العربي، وبات يمنح فرصا لشركائه، في رسالة مبطنة تحمل أكثر من دلالة.

خلاصة القول أن التطورات الأخيرة في العلاقات بين المغرب وفرنسا قد أسهمت في كسر حالة أزمة اقتربت من القطيعة، تعمقت تدريجيا جرّاء التحولات الجيوسياسية التي باعدت البلدين، ودفعت فرنسا إلى القيام بحسابات خاطئة، يبدو أنها تدفع ثمنها بشكل مضاعف.

ومن شأن نتائج الزيارة التي قام بها الوزير الفرنسي سيجورني إلى الرباط أن تصحح المسار، لكن بعض القراءات ترى أن التقارب سيكون بطيئا وعسيرا، بالنظر إلى خلاف في المقاربات، فبينما تريد فرنسا "رشوة" المغرب من خلال مشاريع اقتصادية وتجارية ومالية على مدى العقود الثلاثة المقبلة، داخل المغرب بما في ذلك الصحراء، وفي غرب افريقيا، يبدو أن المغرب لا يزال متشبثا بانتزاع موقف فرنسي صريح من قضية الصحراء، يخرجها به من المنطقة الرمادية التي طالما استغلتها للعب على حبلي المغرب والجزائر.

عمر المرابط*: ماكرون حاول أن يكسب المغرب والجزائر فخسرهما معا

س: هل تغيرت وضعية العلاقات المغربية الفرنسية في السنوات الأخيرة مقارنة بحالتها التاريخية منذ الاستقلال؟

ج: فعلا تغيرت وضعية هذه العلاقات، علما أنه وقبل وصول الملك محمد السادس الى الحكم، لم تكن العلاقات المغربية الفرنسية دائما سمنا على عسل، بل كانت هناك متغيرات سياسية واستراتيجية جعلت المغرب، خاصة منذ انطلاق مشكل الصحراء، وعشنا مجموعة من الأزمات مع فرنسا. وهناك مثلا الازمة المتعلقة بموقف زوجة الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتيران من جبهة البوليساريو، حيث كانت تزور مخيماتها في تندوف مما كان يسبب أزمات...

عند وصول الملك محمد السادس إلى الحكم، كان الرئيس الفرنسي جاك شيراك يعتبر نفسه وصيا عليه، وهو ما لوحظ في تلك العلاقة الأبوية التي جمعت بينهما. ثم جاء الرئيس ساركوزي الذي كان قريبا من المغرب في مواقفه. لكن هذه العلاقة ستتغير في عهد الرئيس السابق فرانسوا هولاند، خاصة عندما اتهم عبد اللطيف الحموشي، وكانت هناك دعوى ذهبت إلى سفارة المغرب في باريس، لمحاكمته هنا في فرنسا، فوقعت أزمة وقطع المغرب علاقاته الاستخباراتية مع فرنسا إلى أن رضخت وقبلت بشروطه فعادت العلاقة الى سابق عهدها، لكن الجرح ترك آثار، على اعتبار أن المغرب كان تاريخيا أقرب إلى اليمين الفرنسي منه إلى اليسار، وفرانسوا هولاند كما تعرفون كان اشتراكيا.

ومنذ إعلان جلالة الملك أنه ينظر إلى المصالح الاقتصادية مع الدول الأخرى بمنظار الموقف من الصحراء المغربية، حل نوع من التغيير في العلاقات. وقبل ذلك، وتحديدا منذ اعتراف ترامب بمغربية الصحراء، انتظر المغرب من فرنسا أن تفعل نفس الشيء، أو على الأقل أن تقترب من الموقف الإسباني أو الألماني أو البلجيكي... لكنها لم تفعل لان الرئيس ماكرون كانت له حسابات أخرى، وكان يراهن على تحسين علاقاته مع الجزائر، وبالتالي حاول أن يكون الرئيس الذي استطاع أن يحسّن علاقته بالجزائر وتكون هناك علاقة استراتيجية معها، خاصة أنه يهتم بالاقتصاد، وبالتالي راهن على الجزائر لكونها بلد غني بالبترول والغاز...

الرئيس الفرنسي ظن أن تركيز سياسته على الجزائر سيجعله يربح البلدين معا، أي المغرب والجزائر، فخسرهما معا. وبالتالي كان القرار بتحسين العلاقات مع المغرب كمحاولة للاستدراك، وقد تبرمج زيارة قريبة له إلى المغرب، وأنا أعتقد أن على المغرب ألا يكتفي بما عبر عنه وزير الخارجية خلال زيارته للمغرب من تجديد دعم مقترح الحكم الذاتي، وأن يطالب فرنسا بموقف لا يقل عن الموقف الاسباني، أي اعتبار الحكم الذاتي هو الأساسي للحل وليس مجرد مقترح جيد.

وقع تغيير في العلاقات الثنائية إذن، خاصة مع الحرب الروسية على أوكرانيا التي قوّت من الموقف الجزائري وجعلت الرئيس ماكرون يدفع في اتجاه تحسين العلاقات مع الجزائر، لكنه لم يلق استجابة من الجزائر رغم أنه دعا الرئيس الجزائري تبون لزيارة فرنسا فقام هذا الأخير بزيارة روسيا، مما شكل ضربة قوية ضد ماكرون.

س: هل تأثرت هذه العلاقات بالتغيير الذي تعرفه النخبة السياسية الفرنسية التي يقول البعض إنها لا تعرف المغرب جيدا؟

ج: فعلا، خاصة مع صعود ماكرون، حيث جاءت نخبة سياسية جديدة، يمكن أن نقول إنها تفتقد للتجربة السياسية. فأغلب معاوني ماكرون انضموا إلى حركته سنة 2017، أنا كنت عضوا في هذا الحزب وأعرف أنه لا يتوفر على المناضلين السياسيين، بل تجد فيه بعض التكنوقراط الذين يريدون الدخول الى السياسة بطريقة مكوكية.

ضعف الحزب يبرز بشكل خاص في المستوى المحلي، لكنه ينعكس حتى على الصعيد الوطني، حيث نلاحظ كيف أن وزير الخارجية الحالين، سيجوني، لم يكن له أي وجود سياسي قبل 2017، بل هو من حديثي العهد السياسة، وهذا ينطبق على الكثير من الوزراء، بل حتى الرئيس ماكرون ارتكب عدة أخطاء في السياسة الخارجية، ليس مع المغرب فقط بل حتى عندما ذهب الى إسرائيل وقال يجب أن نشكل تحالفا ضد حماس على غرار التحالف ضد داعش. وآخر سقطاته كانت حين قال الأسبوع الماضي إن فرنسا يمكن أن تبعث جنودا على الأرض لمواجهة الروس في أوكرانيا، فلم يسانده أي من رؤساء الدول 27 في الاتحاد الأوربي.

زيادة على ذلك هناك الجانب الشخصي في سلوك ماكرون، فهو معروف بعجرفته، ويعتقد أنه ذكي جدا وهذا يسبب له بعض المشاكل مع الكثير من الدول الافريقية وحتى مع المغرب، حيث يتردد أنه تحدث بطريقة غير لائقة مع الملك، وقد تحدث عن ذلك الطاهر بنجلون، وهو من الأشياء التي تبين شخصية الرجل وكيف يعتقد أنه بما أنه رئيس دولة قوية يحق له أن يتحدث مع الآخرين بالشكل الذي يريد، وهو ما لم يكن يحدث مع الرؤساء السابقين.

المغرب الآن مقبل على أوراش كبرى، خاصة تنظيم مونديال 2030، وفرنسا تريد نصيبها من الكعكة، أي تمديد خط القطار فائق السرعة وبعض الطرق والملاعب... كما أن المغرب عموما يتطور اقتصاديا والفرنسيون يعتقدون أن الازمة مع المغرب خلقت لهم متاعب، كما انعكس خفض عدد التأشيرات الممنوحة للمغاربة على إقبال الطلبة المغاربة على دول أخرى، وهو ما يهدد النخبة الفرنكفونية في المغرب التي تخدم مصالح فرنسا الاقتصادية.

س: ما درجة تأثر العلاقات المغربية الفرنسية بتقلص النفوذ الفرنسي في افريقيا؟

ج: النفوذ الفرنسي في افريقيا تأثر كثيرا، قبل الانقلابات الأخيرة في بوركينا فاصو والنيجر ومالي، لكن كانت هناك دعوات للخروج من التأثير والنفوذ الفرنسي في هذه الدول لأنها لم تجن طائلا من هذا الحضور، بل إن رئيسة الوزراء الإيطالية نفسها قالت عن فرنسا تنهب ثروات افريقيا، وهذا صحيح جزئيا.

هذه البلدان لاحظت أن فرنسا تأتي لحماية مصالحها وليس لحمايتهم، وحتى بعض الشعوب التي حدثت فيها هذه الانقلابات خرجت رافعة الأعلام الروسية، رغم أنها أسوأ، لكنهم عبروا عن قناعة مفادها أن فرنسا تنهب بلادهم. بينما كانت فرنسا تعتبر نفسها صاحب النفوذ الوحيد، خاصة في منطقة الساحل والصحراء وغرب إفريقيا، اعتبرت فرنسا أن المغرب نافسها فيها اقتصاديا وقلّص من نفوذها، وكانت تريد وقف ذلك فلم تستطع، بل وقع العكس، حيث استطاع المغرب ان يطور علاقاته الاقتصادية مع هذه الدول في مقاب لتراجع النفوذ الفرنسي، وباتت باريس تعتقد أن يساعدها في إطار استثمارات مشتركة في هذه الدول الافريقية.

بعض الفرنسيين ما زالوا يتعاملون مع الدول الافريقية على انها مستعمرات تابعة لهم، حيث يقومون بنهب ثرواتها وتحقيرها في الوقت نفسها، حيث قام بولوري، الذي بنا ثروته بفضل افريقيا وأسس صحفا وقنوات إعلامية، بالتخصص في سب وإهانة الأفارقة، وهذا شيء لم يعد أحد يقبل به في افريقيا وبشكل خاص في المغرب.

*** خبير في العلاقات المغربية الفرنسية**

تتمة...

قصة مثيرة مع الاشتراكيين بدأت بمحاولة التفاهم وانتهت بالقطيعة

أخطر الأزمات بين المغرب وفرنسا في عهد الحسن الثاني

"إني واثق من أن العلاقات المتميزة والفريدة التيتجمع البلدين،والشراكة الاستراتيجية ذات الطابع الاستثنائي التي تربطهما، سوف تزداد رسوخا... وهذه الشراكة الاستراتيجية، التي نسجها تاريخنا المشترك، ورسختها تلكم القيم الثقافية والإنسانية التي يتقاسم بلدانا الإيمان بطابع التميز، كونها ترتكز أيضا على تطابق وجهات نظر بلدينا تجاه العديد من القضايا الإقليمية والدولية". هكذا هنأت فقرة من برقية ملكية مطوّلة، الرئيس الفرنسي السابق لفرنسا، الاشتراكي فرانسوا هولاند، بعر انتخابه عام 2012.

قبل ثلاثين سنة بالتمام والكمال من ذلك، كانت برقية ملكية أخرى موقعة باسم الملك الراحل الحسن الثاني، تقول لفرانسوا آخر هو الراحل فرانسوا ميتيران: "يسرّنا أن نوجّه إليكم تهانينا بكل صداقة. فبلدانا حافظا على الدوام على علاقات مثالية... والمغرب من جانبه لا يدّخر أي جهد للحفاظ على العلاقات المغربية الفرنسية بعيدة عن أي تغيّر أو خطر".

لكن البرقية الأخيرة لم تمنع العالم من التفرّج على حرب استنزاف طويلة دارت رحاها، وإن بوسائل ناعمة، بين مرسلها ومستقبلها. فعندما كان فرانسوا ميتيران يدخل قصر الإيليزيه يوم 11 ماي 1981، كانت العلاقات مع المغرب تستعد لدخول نفق آخر من العتمة. وهذا القادم من اليسار الفرنسي، المعاشر للسياسة منذ أيام حكومة الأمناء العامين للأحزاب التي أنشأها دوكول، والمحارب القديم ضد الثورة الجزائرية، لم يكن ليستقر بسهولة في قلب الحسن الثاني. خاصة أن هذا الأخير أمضى ثلثا سنوات حياته في مصارعة اليسار واليساريين.

خطاب الطمأنة الذي سارع الجميع، من الجانبين المغربي والفرنسي، إلى بثّه حول مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية بعد نجاح الاشتراكيين في العودة إلى قصر الإليزيه، سبقته قبل ثلاثين عاما فترة شهر عسل طويل بين الحسن الثاني وميتيران، تبادلا فيها الخدمات والتقيا بالأحضان والحفاوة الكبيرة؛ قبل أن تندلع حرب ضروس استخدمت فيها اللوبيات والمنظمات الحقوقية والتحالفات الإقليمية...

جس النبض

المعارض المغربي الذي عاش قريبا من اشتراكيي فرنسا في السبعينيات والثمانينيات، محمد السهيلي، ألف كتابا شهيرا عن علاقة الملك الراحل الحسن الثاني بالرئيس الاشتراكي الأول لفرنسا، فرانسوا ميتيران.

واختار السهيلي فقرة قوية من كتابه وجعلها في الصفحة الأخيرة من الغلاف، تقول إن اتفاقا سريا تم بين الملك الراحل وميتيران بمجرد وصول هذا الأخير إلى الحكم، يقضي بإطلاق أيدي الملك الراحل في قمع معارضيه بمن فيهم اليساريين الاشتراكيين، مقابل دعم الملك للرئيس الجديد في الساحة العربية، وتطبيع علاقاته المتوترة مع العربية السعودية وبعض دول الخليج التي سارعت إلى سحب رساميلها من فرنسا بمجرد فوزه في الانتخابات.

"لا يمكن أن نتحدث عن التوتر في علاقة الراحلين بدون العودة إلى التراكمات التي طبعت تاريخ المغرب في علاقته مع فرنسا"، يقول المتخصص في الشؤون الجيوسياسية، الشرقاوي الروداني، مضيفا أنه ومنذ نهاية عهد الحماية وآلياتها التي كانت تتحكم في أي تصور عقلاني للمستقبل

الحسن الثاني وفرناسوا ميتيران في أحد لقاءاتهما الرسمية

> **عندما كان فرانسوا ميتيران يدخل قصر الإيليزيه يوم 11 ماي 1981، كانت العلاقات مع المغرب تستعد لدخول نفق آخر من العتمة**

المغرب، "عاش المغرب صراعا سياسيا كانت أطرافه داخلية وخارجية. الطرف الداخلي كان يتسم بوجود أحزاب سياسية تدعي المشروعية الوطنية وكان لها علاقات قوية مع قوى اليسار الفرنسي. وكان أغلب القادة اليساريين أنداك منظمين تحت لواء اتحاد طلبة فرنسا والذي كان وراء الحركة المجتمعية المعروفة بـ 68 في ماي".

كانت المعادلة عام 1981 شديدة التعقيد، الاشتراكيون الفرنسيون يصلون إلى قصر الإليزيه لأول مرة، ويحققون بذلك "التناوب" مع اليمين الذي ألف الحسن الثاني التعامل معه منذ الاستقلال. وكان هؤلاء الاشتراكيون بحاجة إلى أصدقاء وحلفاء عبر العالم، وأفضل السفراء الذين يمكنهم اعتمادهم لدى المنطقة العربية والشرق الأوسط كان هو الملك الراحل الحسن الثاني.

بالمقابل، كان على هذا الأخير تدبير العلاقة مع أصدقاء معارضيه اليساريين، واستيعابهم في علاقات طبيعية بين دولتين، وتجاوز عقبة كبيرة تتمثل في علاقة هؤلاء الاشتراكيين الفرنسيين بألد خصوم المملكة، أي جبهة البوليساريو الانفصالية.

كانت تبعات الحرب المكلّفة في الصحراء، وتراجع الطفرة الفوسفاطية التي ضخت في صناديق الحسن الثاني الملايير، وارتفاع درجة الاحتقان الاجتماعي والمطالب الشعبية بتوفير الشغل والصحة والغذاء والسكن... كل ذلك كان يدفع نحو تليين مواقف الملك الراحل، وجعله مستعدا للعب أوراق جديدة للحفاظ على حلفه القوي مع الفرنسيين، رغم أن حكام باريس الجدد حينها، كانوا حلفاء لأشد معارضيه السياسيين حضورا في الشارع المغربي.

الاتفاق السري الهش

كتاب "الملك والوردة" الذي ألفه محمد السهيلي حول علاقة القصر العلوي بالحزب الاشتراكي الفرنسي؛ قال إن نظام الملك الراحل أبان عن تجاهل كبير لفرانسوا ميتيران خلال الحملة الانتخابية لهذا الأخير. وأن الحسن الثاني عبّر علانية عن تفضيله صديقه الرئيس اليميني المنتهية ولايته حينها، جيسكار ديستان.

بل إن افتتاحيات جريدة "لوماتان" التي كان يكتبها رجل الحسن الثاني في الإعلام، أحمد العلوي، كانت تعبّر عن هذا الاختيار بشكل يومي، وكشفت عن عداء واضح للمرشح الاشتراكي فرانسوا ميتيران. لكن هذا لم يمنع الرئيس الجديد، بعد أيام قليلة من انتخابه، من إيفاد بعثة رفيعة إلى الملك الراحل، ضمّت كلا من بيير بيريكوفوي، الذي سيختاره ميتيران ليكون أمينا عاما لقصر الإليزيه، وفرانسوا دوكروسوفر، المقرّب من الأجهزة السرية الفرنسية.

"أنصت الحسن الثاني بكل إمعان للرجلين القادمين من محيط الرئيس الجديد لفرنسا، واللذين يعتبران من أصدقاء المغرب. واكتشف الملك

> **أبان نظام الملك الراحل عن تجاهل كبير لفرانسوا ميتيران خلال الحملة الانتخابية لهذا الأخير**

واقعية الرئيس الجديد ونواياه الحسنة تجاه المغرب، ليعود الموفدان إلى باريس بعد نجاح مهمتهما" يقول السهيلي. الصدى الجيد لهذا الاتصال الأول بين القصرين، فتح الباب أمام مفاوضات سرية أسست لعلاقة شخصية بين الرئيس والملك، فكان ملف الصحراء أول ما تم التوصل بشأنه إلى اتفاق.

"يوم 21 يونيو 1981، انتقل الملك الحسن الثاني إلى العاصمة الكينية نايروبي لحضور قمة منظمة الوحدة الإفريقية. وهناك قبل تقرير مصير الصحراء الغربية، واقترح تنظيم استفتاء تحت المراقبة الدولية" يقول السهيلي، موضحا أن القرار بما كان له من وقع دولي كبير، اعتبر حينها كأول إنجاز يحققه الرئيس الاشتراكي الجديد لفرنسا.

الاختراق الذي نجح الملك الراحل في تحقيقه، من خلال منحه الرئيس الاشتراكي "مبررا" للتقارب مع المملكة، تزامن مع الأحداث الشهير لـ20 يونيو 1981 بمدينة الدار البيضاء، حين خرج آلاف المتظاهرين مطالبين بالخبز والشغل والعيش الكريم، وتتدخّل السلطات الأمنية والعسكرية بعنف أدى إلى سقوط مئات القتلى والجرحى والمعتقلين. "وأغمض الرئيس الفرنسي الجديد فرانسوا ميتيران، عينيه حيال هذا الجانب من السياسة الداخلية للمغرب، ولم تنطلق موجات حقوقية ضد انتهاكات حقوق الانسان. إنه الشق الثاني من الاتفاق السري بين ميتيران والحسن الثاني".

سكوت فرنسي لم يكن التطوّر الكبير في الموقف المغربي من ملف الصحراء ليفسّره. بل إن كتاب "الملك والوردة" يكشف عن شق آخر من الاتفاق الذي تحدث عنه السهيلي بين الرئيس والملك، يتمثل في تدخّل الملك الراحل لدى آل سعود وبعض إمارات الخليج، لإقناعهم بالتراجع عن قرار سحب رساميلهم من فرنسا، والذي اتخذوه بعد انتخاب ميتيران رئيسا جديدا.

مفعول الاتفاق السري سرعان ما زال، وانفلات المواقف التقليدية للحزب الاشتراكي الفرنسي من قبضة الرئيس ميتيران، جعلت الملك الراحل يأزعج من

الحسن الثاني وفرناسوا ميتيران في أحد لقاءاتهما الرسمية

توالي الانتقادات الصادرة في باريس حول الوضع الحقوقي بالمملكة. وازدادت حدة التوتر حين أقدم الملك الراحل على اعتقال زعيم الاشتراكيين المغاربة، الراحل عبد الرحيم بوعبيد، حيث صدرت احتجاجات قوية من الحزب الاشتراكي الفرنسي، بينما حافظ الرئيس ميتيران على صمته لأنه كان مقبلا على زيارة العربية السعودية، وحاولت حكومته معالجة الموقف من خلال إصدار بيان "معتدل" من وزارة الخارجية يتحدث عن اعتقال بوعبيد وزملائه في الحزب، ويتبرأ من أية نية للتدخل في الشؤون الداخلية لمملكة الحسن الثاني.

لكن واقع الأمر كان يحمل بذور خلاف كبير، فالأجهزة السرية المغربية وجدت نفسها في وضع مختلف تماما عما ألفته في عهد الحكومات اليمينية، وتحركاتها وأنشطتها المكثفة التي كانت ممكنة في السابق، بات حكم الاشتراكيين يضيّق عليها، ولا يسمح إلا ببعض أنشطة المراقبة والتتبع للمعارضين المغاربة المقيمين في فرنسا. وأخذت جمعيات المنفيين السياسيين المغاربة في فرنسا تتكاثر، وتُقدم على أنشطة دولية، رغم استمرار مفعول الاتفاق الهش بين الحسن الثاني وميتيران، في فرض كثير من الظلال على تحركات المعارضين المغاربة في باريس، وكان المنفذ الذي يلجأ إليه هؤلاء كلما اشتد عليهم الخناق، يوجد داخل قصر الإليزيه نفسه، عبر زوجة الرئيس، دانييل ميتيران.

لكن حبل الودّ لم يكن قد انقطع بعد، واستمرّ ممدودا بين القصرين إلى منتصف الثمانينيات، تخللته لقاءات حميمية بين الرجلين، لتتحدّث المصادر عن زيارات خاصة متبادلة، ورحلات صيد مشتركة في المغرب، وحفلات شواء وسهر...

الحسن الثاني يطلب الانضمام إلى أوربا

كانت العلاقات الطيبة بين بعض من قادة الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والاشتراكيين الفرنسيين، وعلى رأسهم، فرانسوا ميتيران، تنبئ الحسن الثاني بأن سحابة تقترب من سماء علاقات بلاده مع بلاد الأنوار. وأحس بالضربات المباشرة تبلغ الرباط بعد أن باتت حملات الصحافة الباريسية متخصصة في انتقاد حكمه وممارسات أجهزته القمعية ومعتقلاته السرية. ليبلغ الأمر أوجه بصدور كتاب "صديقنا الملك".

لكن مقاومة الحسن الثاني لمنحى تدهور علاقاته بالرئيس الاشتراكي لفرنسا كانت كبيرة، وكانت مبادراته ومخططاته في هذه العلاقات الثنائية، تندرج على الدوام في إطار تدبير الملك للتوازنات الداخلية وتجنّبه انفجار الأوضاع.

ففي أواخر سنة 1984، وفي عزّ برامج التقويم الهيكلي التي فرضتها المؤسسات المالية على المغرب لإعادة الحياة إلى ماليته وتوازناته الماكرو اقتصادية، استدعى الملك صحافيين فرنسيين من جريدة "لوموند" النافذة، أحدهما كان "بول بالطا" المعروف بمشاغبته للمغرب لدرجة كان معها ممنوعا من الدخول إلى ترابه.

كان ميتيران يتولى حينها رئاسة المجموعة الاقتصادية الأوربية، الأم التي ستنجب الاتحاد الأوربي. فانتهز الحسن الثاني الفرصة ليُلقي بفكرة غير مسبوقة في ساحة النقاش الدولي، بطلبه انضمام المغرب إلى المجموعة. "المغرب أكثر أوربية من اليونان من الناحية الجغرافية، ولديه مؤسسات ديمقراطية، ويتوفر على جميع شروط الالتحاق بالمجموعة الاقتصادية الأوروبية"، قال الحسن الثاني في حوار مع "لوموند" بتاريخ 10 نونبر 1984. وحققت الفكرة ضرب عصفورين بحجر واحد، أولهما تقديم هدية سمينة لفرنسا باعتبار أن عهد رئاستها للمجموعة أدى إلى طلب دولة من خارجها الانضمام إلى التكتل الاقتصادي؛ ومن جانب آخر، كانت الفكرة كافية لكي يكون لها مفعول السحر على الشباب المغاربة العاطلين والغاضبين والمتوثبين للتمرد.

صُدم النشطاء اليساريون المغاربة الذين كانوا يقيمون في فرنسا حينها، عند سماع الفكرة، وسارعوا فور إعلانها من طرف الملك، إلى مراسلة قصر الإليزيه الفرنسي واللجنة الأوربية لحقوق الانسان، وبعثوا لهذه الأخيرة طلبا يرمي إلى الوقوف على الوضع

يتبع...

الحقوقي في المغرب الذي لا يؤهله للانضمام إلى المجموعة الأوربية. وكانت صدمة المعارضين المغاربة أكبر، حين أجابتهم الهيئات الأوربية أنها لم تتوصل بأي طلب مكتوب من المغرب للانضمام، وأن الأمر لا وجود له رسميا. "كانت تلك مناورة ملكية للالتفاف على مشاعر التمرد المتنامية لدى العاطلين المغاربة، والذين أصبحوا يحلمون بالتشغيل في المؤسسات الأوربية بعد تحقيق الانضمام. وتجنّبت الرباط تقديم أي طلب مكتوب، حتى لا تتلقى ردا إداريا سريعا بالرفض من الجانب الأوربي، وتبقى الفكرة مشاعة ومتداولة" يقول محمد السهيلي في كتابه "الملك والوردة".

ربح الحسن الثاني سنة كاملة تعرّضت فيها أوربا، وعلى رأسها فرنسا، إلى تخدير ناجم عن مفعول الاقتراح المغربي بالانضمام إليها، وتحريك اللوبيات والمنابر والقنوات الإعلامية القريبة من الرباط للترويج للفكرة وتقديم المغرب كحليف وصديق كبير. ولم يتكسّر هذا الجمود إلا عام 1985، حيث نشرت اللجنة الأوربية لحقوق الانسان تقريرا يحمل بصمات واضحة للاشتراكيين الفرنسيين، ويوجّه ضربة يصعب احتمالها إلى وجه المملكة.

الورقة اليهودية

انسداد الأفق الأوربي أمام الملك الراحل بسبب الصخرة الاشتراكية، دفعه إلى إيفاد بعثة دبلوماسية إلى اللجنة الأوربية، كان من بين أعضائها برلمانيون من حزب الاتحاد الاشتراكي، في محاولة لاستمالة الاشتراكيين الأوربيين ومنعهم من دعم التقرير الأسود حول الوضع الحقوقي، فلم تفلح البعثة في ذلك إلا جزئيا، ومع برلمانيين أوربيين يمينيين يتقدمهم ممثلو اليمين الفرنسي المتطرف بقيادة جون ماري لوبين، إلى جانب بعض اليساريين الذين أقنعهم ممثلو الاتحاد الاشتراكي المغربي. ليُخرج الملك الراحل ورقة أخرى من أوراقه القوية، ويقوم بزيارة رسمية إلى فرنسا التقى خلالها فرانسوا ميتيران.

قيام الحسن الثاني بتلك الزيارة الرسمية التي ستكون الأخيرة له إلى فرنسا في عهد ميتيران، لم تتم إلا غداة إعلان الملك المغربي استعداده لاستقبال رئيس الحكومة الإسرائيلية حينها، شمعون بيريز في المغرب، مُطلقا على رأس هذه اللجنة كانت توجد اشتراكية هولاندية اسمها "فان دين هوفل"، وهي المعروفة بعلاقاتها الوثيقة باشتراكيي فرنسا وأصدقائهم المعارضين المغاربة. ورغم القصف الذي تعرضت له هذه اليسارية الهولندية عبر وسائل الإغراء والدعوات التي أُمطرت بها لقضاء عطل برياضات وفنادق مراكش، إلا أنها بقيت على مواقفها المتشددة مع المغرب، وكان الحسن الثاني يعرف أن مفتاح مثل هذه الأبواب الموصدة لا يوجد إلا بين يدي فرانسوا ميتيران، لهذا كان حنقه يزداد بعد يوم.

بذلك العنان للوبي اليهودي في فرنسا، ليمهد له طريق الدخول إلى فرنسا. وبالفعل، حظي الملك الراحل في زيارته تلك بهالة كبيرة قدّمه الإعلام من خلالها كصديق كبير للغرب وقائد عربي منفتح على إسرائيل وقادر على لعب دور كبير في الصراع العربي الصهيوني، وتكللت الزيارة بتلقيه دعوة لزيارة البرلمان الأوربي في السنة الموالية.

لكن اللعنة الاشتراكية التي لاحقت الملك الراحل انطلاقا من قواعدها الصلبة في فرنسا، سرعان ما أطلقت حملة دولية شعواء ضد استقباله في البرلمان الأوربي، وأمطر النشطاء اليساريون المغاربة والفرنسيون والأوربيون البرلمانيين الأوربيين بالتقارير والوثائق حول الوضع الحقوقي الحالك في المغرب، فلم يجد رئيس البرلمان الأوربي بدا من نُصح الحسن الثاني بعدم القيام بالزيارة، تجنبا لتظاهرة حتمية ضد الملك المغربي داخل المؤسسة الأوربية خلال زيارته لها.

ما إن هدأت الحملة ضد الحسن الثاني، وحلّ العام 1987، حتى فجّر الاشتراكيون الفرنسيون قنبلة أخرى، تتمثل في كشف وضعية أسرة الجنرال أوفقير، بعد المحاولة الفاشلة لهروب ابنته مليكة. وتلقى الملك الراحل ضربة جديدة بإصدار البرلمان الأوربي قرارا عاجلا يدين وضعية اعتقال زوجة وأبناء أوفقير، وكل هذا في عزّ الحرب الطاحنة التي كان المغرب يخوضها في الصحراء ضد البوليساريو وخلفها الجزائر "الاشتراكية".

ضغوط قاهرة دفعت الحسن الثاني إلى لعب ورقة أخرى من أوراقه، وذلك بتسريبه إشاعة احتمال إصدار عفو شامل على المنفيين السياسيين، وانتقل وزير الداخلية إدريس البصري إلى فرنسا ليلتقي المعارض محمد البصري زيادة في ترويج شائعة العفو الشامل.

> **وجدت الأجهزة السرية المغربية نفسها في وضع مختلف تماما عما ألفته في عهد الحكومات اليمينية**

وفي عزّ الفورة الإعلامية المرافقة لهذه الشائعة، ربط الملك الراحل الاتصال بالبرلمان الأوربي، معلنا استعداده لتقديم طلب رسمي بالانضمام إلى المجموعة الأوربية بعد صدور العفو الشامل. لكن الصدمة كانت قوية، حين جاء الرفض الأوربي سريعا، وتم استدعاء السفير المغربي في الدانمارك التي كانت ترأس المجموعة حينها، لإبلاغه القرار، فكانت غضبة الحسن الثاني كبيرة، تطلّبت انتقال رئيس اللجنة الأوربية وصديق الملك الراحل ووالد الكاتبة الاولى السابقة للحزب الاشتراكي الفرنسي، جاك دولور، إلى الرباط من اجل نزع فتيل الغضب.

وبينما كان البرلمان الأوربي يستعد لإصدار قرار يوم 29 نونبر 1987، في الذكرى المصادفة لتاريخ اختطاف المعارض المغربي المهدي بنبركة؛ بثّ المغرب شائعة جديدة مفادها أن ملف أسرة أوفقير في طريقه إلى الحل، وأن أفرادها سيتمكنون من السفر إلى كندا، وألا داعي لصدور قرار أوربي بهذا الشأن، وذلك في محاولة لتمهيد الطريق لزيارة الملك المرتقبة إلى البرلمان الأوربي في "ستراسبورغ" في متم 1987.

ربح الملك الراحل هذه الجولة، وجاء قرار البرلمان الأوربي مشيدا بخطوة الإفراج عن عائلة أوفقير قبل أن يتم ذلك، وخاض الحسن الثاني في العامين المواليين حملة لتقديم نفسه كأمير للمؤمنين قادر على مواجهة التطرف الذي يخيف الغربيين من جانب المسلمين والعرب، وتولى التصدي لثورة الخميني في إيران عبر خرجات إعلامية مرتبة في فرنسا عبر قنواتها التلفزية، إلى أن جاءت ضربة كتاب "صديقنا الملك"، والتي وعلى خلاف الضربات السابقة، التي وإن كان الحسن الثاني متأكدا أنها من فعل "صديقه" رئيس الجمهورية الفرنسية الاشتراكي، عبر القنوات الخلفية للحزب والإعلام والمؤسسات الأوربية، فكان يردّ عليها بمخططات ذكية تتجنب المواجهة المباشرة مع ميتيران، إلا أنه هذه المرة قرّر توجيه الرد مباشرة إلى الرئيس.

اعتبر الحسن الثاني علانية أن رئيس الجمهورية الفرنسية هو من يقف وراء صدور الكتاب الجريء، وأنه يندرج ضمن سياسة جديدة للإيليزيه ضده شخصيا. وكان رده سريعا بحرصه على إمطار البريد الشخصي لميتيران بآلاف الرسائل المحتجة والغاضبة من طرف رعايا العرش العلوي. وأبلغه بذلك أنه قادر على لعب ورقة التعبئة الشعبية وتأجيج الرأي العام. "لقد اتسم ردي على كتاب "صديقنا الملك" بالجَلَد. فما هو النظام الذي ليست له عيوب ولا يتعرض لأي انتقاد؟ ولو أردت أن أزيد الطين بلة لكان بإمكاني، أنا أيضا، أن أدلي بتصريحات تفضح ما كان يجري في فرنسا. إذ لم تكن تنقصني المعطيات. لكنني اعتبرت أنه ليس من حقي أن أعكر جو علاقات عريقة..." يقول الملك الراحل في أحد حواراته الصحافية.

زوجة الرئيس تؤجج الصراع

"كانت بينهما علاقة زمالة إن صح التعبير بوصفهما مثقفيْن تطبع الثقافة سياستَهما المشتركة" يقول

الحسن الثاني ودوغول..
إعجاب عكّره اختفاء المهدي بن بركة

"لم يكن ممكنا قبولها أبدا. فبدون أدنى دليل اتهم على الفور وزيري في الداخلية... إني أرفض أن يتدخل أحد في شؤوننا. وعلى كل حال، فلو أني رضخت لرغبة الجنرال دوكول، لظن في قرارة نفسه أني لم أعد ابن محمد الخامس. لأنه كان عنيدا جدا وكان أبي كذلك".

إذا كان العنيد هنا هو الجنرال دوكول، والمتحدث هو الراحل الحسن الثاني. فإن المناسبة ما زالت حاضرة وتزورنا متم شهر نونبر من كل سنة: اختطاف المهدي بن بركة. هذا الحادث الذي يسارع مصطفى السحيمي، صاحب كتاب "دوكول والمغرب" إلى جعله لحظة فارقة لها ما بعدها وما قبلها.

فالجنرال كان بالنسبة للملك الراحل وجها أسطوريا يحظى بنصيب وافر من التقدير والاحترام، حسب مصطفى السحيمي. و كان ذلك نابعا من اشتراك الجنرال في صفة المحرر مع محمد الخامس. هذا الأخير الذي "حظي بلقب رفيق التحرير هو والوزير الأول البريطاني تشرشل، من بين كل قادة دول العالم. وشكل ذلك بالنسبة للحسن الثاني اعترافا بدور والده، وبالمشاركة الفعالة للمقاتلين المغاربة في جبهات القتال".

ويعتبر عبد الهادي بوطالب، مستشار الملك الراحل أن "الملك الحسن الثاني لم تكن له معه علاقة طويلة الأمد، خلافا لعلاقة والده الملك محمد الخامس الذي اتصل بالجنرال دوكول واستقبله بباريس بوصفه محرر فرنسا ووشح صدره بوسام التحرير الأكبر الفرنسي." وهو ما تؤكده اللقاءات النادرة للرجلين، حيث كانت أولى لقاءاتهما قبيل عودة الجنرال إلى جمهوريته الخامسة، أي سنة 1957، وتم ذلك بطلب من محمد الخامس.

دوغول يوشح الأمير مولاي الحسن (الحسن الثاني)

كان جدول أعمال اللقاء يحمل نقطة أساسية: استقلال الجزائر. ليخرج الأمير من قصر أحد أصدقاء الجنرال، الذي احتضن اللقاء، برسالة إلى والده مفادها: "أبلغوا صاحب الجلالة بأني على يقين أن الجزائر ستنال استقلالها حتما". ومن جهته كان مولاي الحسن بعد هذا اللقاء مستشعرا لأهمية الدور الذي ما زال يضطلع به دوكول. "بالنظر إلى الطريقة التي

كانت تسير عليها فرنسا في ظل الجمهورية الرابعة، كنت على يقين بأنه سيعود الى السلطة وأن دوره لم ينته بعد" يقول الملك الراحل.

يذهب مصطفى السحيمي إلى أن شارل دوكول كان بمثابة مدرسة ثانية للحسن الثاني، بعد مدرسة محمد الخامس. وأن قدرا من الاستلهام طبع نهج الحسن الثاني في بناء دولته. لكن بوادر تباعد الرجلين سرعان ما طفت على السطح. وسرعان ما عبر الحسن الثاني بعيد اعتلائه العرش عن تضايقه من التفضيل الذي تحظى به الجزائر من لدن فرنسا. واحتاج الجنرال دوكول إلى المبادرة إلى سحب كامل قواته من قواعدها بالمغرب مباشرة بعد تقلد الحسن الثاني العرش. واعتبر ذلك هدية لكسب الثقة رغم أن أجندة الانسحاب كانت تضع إيقاعا آخر لإخلاء القواعد.

ظلت العلاقات بين الرجلين وبين البلدين في مسارها الطبيعي، إلى أن تعرض المعارض الأول للعرش، المهدي بن بركة للاختطاف فوق التراب الفرنسي. بمشاركة مغربية واضحة وتواطؤ بيّن من الأجهزة الفرنسية، وهو ما اعتبره محرر فرنسا طعنا من الخلف وتجاوزا لصلاحياته، لينطلق التحقيق والمحاكمة التي استدعت دون تردد وزير داخلية الحسن الثاني، الجنرال

المهدي بنبركة

أوفقير، أرفقها دوكول بخرجات إعلامية وسياسية نارية.

"هناك بعض الأفراد الذين يعتبرونني غبيا" يقول رئيس الجمهورية الخامسة في تصريح مرتبط بالحادث. "لكن أن يتوجه بلهجة عنيفة الى عاهل تربطه به صداقة، فهذا ما لم أستسغه، خاصة وأنه كان يكن لي على مر السنين تقديرا خاصا" يقول الحسن الثاني. وكانت نتيجة هذا التراشق استدعاء الطرفين لسفيريهما وقطع جميع الاتصالات لمدة ثلاث سنوات، أي إلى أن رحل دوكول عن الإيليزيه وعن الحياة.

"ربما كان يتعين علي، وقد كنت الأصغر سنا والأقل أقدمية في الحكم، أن أقدم بمبادرة ما في هذا الشأن" يقول الحسن الثاني الذي لم يزر فرنسا بعد قضية المهدي بنبركة إلا بعد وفاة الجنرال دوكول. حيث توجه إلى كولومبي وحده للترحم على قبره، حاملا ميدالية رفيق التحرير الممنوحة لوالده من طرف الجنرال.

مستشار الملك الراحل عبد الهادي بوطالب، في حوار سابق أجراه كاتب هذه السطور مع المستشار الملكي قبل رحيله، قبل أن يستطرد بوطالب بالقول: "عرفت علاقتهما برودة لم تطل. وحضر الرئيس إلى المغرب في زيارة رسمية بدعوة من الملك وجرى بينهما حوار مباشر قال عنه الملك لحاشيته الخاصة -وكنت حاضرا- إنني أنسجم مع هذا الرجل وأقدره. وحديثنا شمل جميع القضايا ووجدنا أنفسنا مُتفقيْن. وزاد يقول: في معالجة المشاكل العالمية والعلاقات الدولية يستعمل الرئيس فرانسوا ميتران المقاربات الثقافية ومنطق ديكارت للإحاطة بها وإيجاد الحلول. وهذه - يقول الملك الحسن الثاني- هي طريقتي ومنهجيتي. ومن أجل ذلك وجدنا أنفسنا متفقيْن حيال عدد من القضايا التي تدارسناها ومنها قضية عودة علاقات المغرب وفرنسا لما كانت عليه".

ورغم محاولات القفز على الحاجز النفسي بين الرجلين، إلا أن عوامل أخرى كانت تساهم في دوام الجفاء. رغم أن الملك الراحل اعتبر يوما أنهه "يجب إنصاف ميتيران، فهو لم يكن أول رئيس يقوم بذلك (إجراءات اقتصادية لصالح الجزائر)، فقد كان بومبيدو وجيسكار يشعران بنوع من الشعور بالذنب إزاء الجزائر". ويضيف الراحل بوطالب في تحليله لأسباب التوتر بين الملك والرئيس: "الواقع أن القضايا الخلافية التي كانت تفصل أحدهما عن الآخر لم يكن الرئيس ميتران هو المسؤول عنها، بل كانت زوجته المسؤولة الأولى وكانت تميل إلى اليسار وتفتح أذنا صاغية إلى ما تقوله الجزائر عن المغرب" في إشارة إلى تأثير هذه السيدة في مصير العلاقات الثنائية. تأثير حاول دهاء الحسن الثاني احتواءه بدعوتها إلى لقاء ودي مع زوجته.

لقاء تحدث عنه الملك الراحل، وقال إنه "في نهاية هذه المقابلة الودية... طلبت من السيدة ميتيران أن نتقابل على انفراد. وحينما استقبلتها قلت لها ما يلي: "عليكم سيدتي أن تطلبوا مني ما تريدونه، فلن أرفضه لكم. إنكم حرم رئيس دولة صديق. ولكن أرجوكم فيما يخص الملفات المغربية التي تهتمون بها، وخاصة ملف السرفاتي، أن تستكملوا معلوماتكم أولا.." يقول الحسن الثاني في "ذاكرة ملك" حيث أكد أن شيئا لم يتغير بعد هذا اللقاء.

"وعندما أصبح الرئيس ميتران مع زوجته في حالة نشوز (ولم يبق هذا سرًّا إذ تحدث عنه الإعلام الفرنسي في إبانه)" يقول المستشار الراحل عبد الهادي بوطالب، ثم يضيف: "وزار الرئيس الفرنسي الملك الحسن الثاني بالمغرب سمعت من الملك قوله: "إن الرئيس قال له إن ما تكتبه زوجته أو تصرح به لا يُلزمه بأي حال. إنها تتخذ مواقفها باستقلالية كاملة عنه"".

هل انتصر ميتيران؟

"في سنة 1990 وخلال القمة التي دأبت فرنسا على تنظيمها مع مجموع الدول الإفريقية والتي كانت منعقدة في مدينة لابول الفرنسية، خاطب ميتران الحاضرين بأنه لابد من وضع "مشروطيات الديمقراطية" في دولكم من أجل كل تعاون اقتصادي مع فرنسا فما كان جواب الحسن الثاني رحمه الله إلا أن قال بأنه صحيح بأن الديمقراطية هي عامل محدد في أي مقاربة تنموية مندمجة، لكن في نفس الوقت دعا إلى نهج مقاربة تدريجية تعلمية تأخذ بعين الاعتبار وثيرة خصائص الدول الإفريقية"، يقول الشرقاوي الروداني، المختص في التحليل الجيوسياسي والجيوستراتجي. مضيفا أن ما كان بين الحسن الثاني وفرنسوا ميتران ليس صراعا بالمفهوم التقليدي ".

لكن سنوات النصف الأول من عقد التسعينيات، أبانت عما يمكن اعتباره اقتناعا ملكيا متأخرا بضرورة القيام بخطوات إصلاح حقيقية لا اللعب ببالونات الاختبار في سماء الإعلام الأوربي. وبدت المملكة كما لو استسلمت لضراوة القصف اليساري الفرنسي، حيث توالت مبادرات الملك الراحل للعفو على المعتقلين وإعادة المنفيين، وتأسيس الهيئات الحقوقية وتكليفها بفحص ملف الانتهاكات والضحايا. بدت المملكة كما لو قرّرت الكف عن خوض المناورات ضد فرنسا ميتران، والانكباب على الملفات الداخلية الشائكة. وانتظرت المملكة حُكم الناخب الفرنسي الذي أعاد اليسار في منتصف التسعينيات إلى مقاعد المعارضة، وحمل صديقا كبيرا للمملكة الشريفة إلى قصر الإليزيه، اسمه جاك شيراك.حينها فقط قام الملك الراحل بزيارة إلى فرنسا وهو مطمئن البال، فقد حفّه شيراك بحفاوة الضيوف الكبار، ولقي منه ما تشتهيه نفسه الملكية من إجلال وتوقير. واصطحب معه في تلك الرحلة الأمير مولاي رشيد، ولم يرافقه ولي العهد "سيدي محمد" ولا وزير الداخلية حينها، إدريس البصري؛ وهو ما فهم منه الفرنسيون رسالتين اثنتين: لا مجال للحديث عن انتقال العرش رغم أعراض المرض التي ظهرت على الملك، ولا حديث سيكون خلال الزيارة عن قضايا الأمن وملف المخدرات وتجارتها لأن وزير الداخلية غير موجود.

فيما راح اليساريون يمارسون شغب المعارضة، ونظموا الندوات والاحتجاجات الرافضة لاستقبال الحسن الثاني في البرلمان، تزعمهم الشيوعيون وساندتهم الاشتراكية سيغولين روايال؛ قبل أن يخرج الناطق الرسمي باسم الحزب الاشتراكي، الشاب فرانسوا هولاند، ليقول إن استقبال الملك في البرلمان ليس مشكلة في حد ذاته، وأن نواب الحزب لن يقاطعوا جلسة استقباله.

أول طائرة مغربية الصنع قبل 2030

أكد وزير الصناعة والتجارة، رياض مزور، أن المغرب يطمح لإنتاج أول طائرة محلية الصنع قبل سنة 2030. وأوضح الوزير في تصريح لقناة "الشرق مع بلومبرغ"، أن المغرب قادر على تصنيع أية قطعة في الطائرة، مشيرا إلى أن المغرب يصنع إحدى القطع جد الحساسة والتي تصنع حاليا في خمس دول فقط.

ويعتبر قطاع صناعة الطيران في المغرب واحدا من أسرع القطاعات نموا في المغرب حسب إدارة التجارة الدولية، ورغم تأثره بتبعات جائحة كورونا، إلا أنه أبدى تعافيا خلال السنتين الأخيرتين، حيث تشير معطيات مكتب الصرف المغربي إلى أن صادرات هذا القطاع قد اقتربت من 22 مليار درهم خلال السنة الماضية.

ويضم قطاع الطيران بالمغرب حاليا حوالي 142 شركة، ويبلغ عدد مناصب الشغل المباشرة فيها 17 ألف موظف، حيث قامت المغرب بعقد شراكات قوية مع شركات الطيران الرائدة، مثل "بوينغ"، و"إيرباص"، و"بومبارديير"، و"سافران"، التي أنشأت مصانع لها في البلاد، أخرها كان شركة "برات آند ويتني" الأمريكية.

وكانت الشركة الأمريكية "برات آند ويتني" قد أعلنت نهاية السنة الماضية عن شروعها في بناء مصنع لها بالمغرب باستثمار يناهز 715 مليون درهم، لتصنيع أجزاء ثابتة وهيكلية تفصيلية لمختلف نماذج محركات الطائرات، وأكدت الشركة في بيان لها أن اختيارها للمغرب جاء بعد عملية قياس عالمية تبين فيها الجاذبية المتنامية للمغرب لشركات الطيران، وتكلفة الأعمال والمواهب المتاحة.

في هذا السياق أوضح الوزير أن صناعة الطائرات تتميز بشدة التعقيد، حيث تتطلب أحسن المهارات في العالم، مشددا على أن "البلد المتمكن من هذه الصناعة من الممكن أن يتفوق في أي صناعة أخرى".

ويعمل المغرب منذ سنة 2014 تنفيذ العديد من برامج التدريب والتطوير لتطوير كفاءات في هذا المجال. من خلال "خطة التكوين في الصناعات الجوية"، التي أطلقتها الجمعية المغربية للصناعات الجوية والفضاء (GIMAS) ،لتوفير برامج تدريب مهني متخصصة للفنيين والمهندسين. بالإضافة إلى ذلك، أنشأت العديد من شركات الطيران الكبرى في المغرب مراكز تدريب لتعزيز مهارات القوى العاملة لديها.

في محورية الأسرة

حمزة الأتفاسي

قبل أسابيع قليلة، خرج الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ليتحدث إلى الشعب الفرنسي ويحثه على إعادة التسليح الديمغرافي le réarmement démographique. خرج ماكرون ليحفز الفرنسيين على الإنجاب في خضم الأرقام الديمغرافية المخيفة التي خلفتها سنة 2023. ففي هذه السنة، عرفت فرنسا ولادة 678000 طفل، وهو ما يشكل انخفاضا بعشرين بالمائة مقارنة بسنة 2010، وانخفاضا دون مستوى إعادة المجتمع لبناء نفسه.

يأتي هذا التصريح بعد تصريحات مماثلة للرئيس الصيني شي دين بينغ والرئيس الروسي فلاديمير بوتين حول ضرورة إنجاب عدد أكبر من الأطفال لمجابهة الانكماش الديمغرافي الذي تعرفه دول كثيرة عبر العالم.

خروج ماكرون هو اعتراف علني ومباشر بفشل المشروع الاجتماعي الغربي. مشروع مبني على الحرية الفردية الراديكالية التي تخلي الفرد من أي مسؤولية اجتماعية، بل حتى من المسؤوليات المرتبطة باستمرار الجنس البشري.

هناك في علم الديمغرافيا رقم شديد الأهمية وهو 2.1. هذا هو معدل الإنجاب الأدنى الذي يستطيع من خلاله مجتمع أن يعيد إنتاج نفسه، وأي رقم دون ذلك يعني أن عدد الوفيات في المجتمع سيكون أكبر من عدد الولادات، وهو ما يحصل حاليا في دول كألمانيا وإيطاليا والصين وكوريا الجنوبية على سبيل المثال، بمعدلات خصوبة لا تتجاوز 1.6، 1.3، 1.2، و0.8 على التوالي.

عوامل عدة تساهم في هذا التراجع المخيف في بعض الدول: هجرة الشباب إلى دول أخرى ذات دخل أعلى وفرص عمل ودراسة أحسن، ارتفاع الدخل في بعض الدول وما يوازيه من خفض لعدد الولادات داخل الأسر؛ لكن من الأسباب المهمة والتي نراها في تجارب دول كثيرة جدا انهيار دور ومكانة الأسرة داخل المجتمع. خلال التجربة الإنسانية ككل، تعتبر الأسرة أقدم تجمع اجتماعي من بين كل التجمعات الاجتماعية (العشيرة، القبيلة، الدولة، الإمبراطورية...)، كما أنها التجمع الاجتماعي الأكثر مساهمة في استمرار التجربة البشرية. لذلك فأي فتور لدور الأسرة ستكون له عواقب فتاكة على الفرد، المجتمع، والجنس البشري.

> **لا يختلف اثنان حول الهجوم الممنهج على الأسرة من زوايا مختلفة في العقد الأخير**

على مستوى المغرب، لا يختلف اثنان حول الهجوم الممنهج على الأسرة من زوايا مختلفة في العقد الأخير، مما خلف أعطابا قيمية واجتماعية مدمرة في مجتمعنا، ومن مظاهره تصدر المغرب لحالات الطلاق في العالم العربي لسنة 2023، والانتشار الخبيث لمخدرات صلبة كمخدر "البوفا".

هذا الواقع هو الذي جعل الملك محمد السادس يدق ناقوس الخطر في خطاباته الثلاثة الأخيرة، من بينها خطاب خصصه بشكل كامل لموضوع القيم والأسرة في خطاب افتتاح الدورة البرلمانية الخريفية الأخيرة. كما أن الملك أشار في خطاب العرش لسنة 2023 لسياق تركيزه على قيم الأسرة، حيث قال إنه يأتي "في ظل ما يعرفه العالم، من اهتزاز في منظومة القيم والمرجعيات وتداخل العديد من الأزمات"، ودعا بعدها إلى التحلي بالجدية بمعناها المغربي الأصيل في التمسك بالقيم الدينية والوطنية وفي صيانة الروابط الاجتماعية والعائلية. يعرف الجميع أن خطاب العرش في المغرب يشكل خارطة الطريق للسياسات العامة للدولة بالنسبة لتلك السنة. وفي هذا السياق، يجب على المغرب أن يكون يقظا في التصدي لمحاولات التدمير القيمي التي تحصل بشكل يومي عبر قنوات مختلفة داخل المجتمع، وخصوصا عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

لا أدعو هنا إلى التضييق على حرية تعبير المغاربة عبر هذه الوسائط، بل أحث على مراقبة المحتوى الذي يشاهده المغاربة والتصدي للمحتوى الذي يشكل خطرا قيميا واجتماعيا على المغاربة، كما يجب المساهمة في تشجيع المحتوى الذي يبني قيم المجتمع سواء كان تثقيفيا، تعليميا، أو ترفيهيا. كما على قادة الرأي في المغرب التركيز على دور الوالدين في هذا المسار وضرورة انخراطهم في بناء الأجيال القادمة بناء قيميا محصنا.

موت الكاتب: الغياب والتغييب!

توالى علينا، في الأسابيع القليلة الماضية، رحيل الكتاب، كان آخرهم عميد الأدب المغربي عباس الجراري والباحث بوسلهام الكط والقاص المبدع محمد إبراهيم بوعلو. هذا الأخير، الذي توفي الأسبوع الماضي، هو أحد مؤسسي فن السرد القصير في المغرب، إلى جانب كل من المرحومين إدريس الخوري ومحمد زفزاف، وكذا أحمد بوزفور وعبد الحميد الغرباوي وأبو يوسف طه ومحمد صوف وآخرين- أطال الله في عمرهم جميعا. ويمثل رحيل الواردة أسماؤهم أعلاه خسارة فادحة للأدب عموما، وللثقافة الإبداعية المغربية والعربية عموما.

في الواقع، إن رحيل أي كاتب- كيفما كانت مساهمته قيد حياته- وحتى في حال توقفه عن الكتابة، رحيلا مزدوجا. ففي هذا الزمن الرديء الذي تنبعث منه نتانة الفساد وتجرفه التفاهة إلى الحضيض، يصير موت الكاتب مزدوجا، إن لم نقل إن موته يتضاعف إلى ما لا نهاية، إذ 'يكثر فيه الموت'، كما قال العرب القدامى. إنه موت مركب ومتشعب. فهو غياب وتغييب في الآن ذاته. لا يموت الكاتب فحسب بانسلال الروح من جسده إلى الأبدية، بل يموت بسبب التجاهل والإهمال والنسيان والنكران والجحود، الخ. والأنكى من ذلك أن بعض الكتاب يموتون بسبب هذا، بعد تقاعدهم على الخصوص، لدرجة أن البعض يحسبون على الأموات- في ظن "الأحياء" طبعا- وهم ما يزالون على قيد الحياة.

في البلدان الأخرى التي تقدر الأدب والفكر حق قدرهما، تقام التماثيل والنصب للأدباء والمفكرين، وتحمل المدارس والجامعات والكليات والمعاهد وباقي المؤسسات الرسمية والشوارع الكبرى أسماءهم، وتتأسس الجوائز والمكافآت لتكريمهم وتخليد إبداعاتهم وعطاءاتهم، الخ.

بخلاف ذلك في هذه البلاد السعيدة ثقافيا، تحول تغييب الكاتب بعد غيابه إلى ظاهرة مثيرة. يصير الكاتب في طي النسيان، ما إن يوارى جثمانه الثرى، ويصير إرثه مثل خبايا المجهول، أثرا بعد عين في أحسن الأحوال. وهذا ما أشار إليه الأديب العربي بنجلون، في تدوينة على الفايسبوك قبل أيام، حين قال إن مفكرا كبيرا من طينة الراحل محمد عابد الجابري لا ينبغي أن ينساه الإعلام- وحتى نساء الأدب والفكر ورجالهما، لأن أعماله الفكرية الرفيعة، بتعبيره، "أحدثت رجة في الفكر الحديث."

لا يرحل الكاتب عن دنيانا جسديا فقط، بل يرحل فكريا وأدبيا ورمزيا أيضا. كان العراقيون يدفنون أغراض الميت معه في قبره. الواقع هنا أسوأ من ذلك بكثير، إذ تكفن أعمال الكاتب، هي الأخرى، بكفن السهو والتقصير والتغافل. يزول كل شيء من الفكر والحافظة. سرعان ما تغيب أعماله عن الذاكرة، ويهجرها الإعلام، وينبذها الفضاء المدرسي والأكاديمي، ويطرحها أصدقاء الراحل الأوفياء، إن لم يعرّضوا بها ويحتقروها ويتفهوها. حتى السلطة تنسى كتابها المقربين، أولئك الذين قدموا لها أغلى المنافع وأعظم الخدمات وأنفس النظريات والخبرات، تتركهم يضمحلون في دهاليز الغفلة، حتى يتلاشون نهائيا في سراديب الغياب.

هكذا، يبدو أن موت الكاتب الجسدي والرمزي يقع من الجميع موقع الإجماع. لا خلاف فيه، سواء لدى النخبة أو الطبقة الشعبية. حتى تلك المحاولات المحتشمة التي يجترحها بعض الكتاب، على حسابهم الشخصي أحيانا أو بتعاون مع بعض المؤسسات الغيورة أحيانا أخرى، لا تجدي نفعا في ما ينبغي أن يحظى به الراحلون من تكريم وتكريس. تستلزم الضرورة من المرء هنا أن يعبر عن الشكر والتقدير امتنانا وعرفانا لهم على هذا الجهد الجبار في الحفاظ على ذكرى الراحلين، وإن لم تفلح مبادراتهم في بعثهم من رماد النسيان وتخليصهم من براثن الجحود إلا مناسباتيا.

وإذا كان كثيرون يتشدقون اليوم بالكلام عن فكرة الالتزام- أو المقاومة- في الإبداع والكتابة، فالأولى أن يترجم هذا المبدأ فعليا في الوفاء للرواد والآباء المؤسسين، حتى لا يطوي النسيان ذكراهم، ويظل إرثهم حاضرا بين الأحياء. والأحرى ألا تبقى المقاومة كلاما نظريا عاما، وأن تتحول إلى مواجهة شاملة وجذرية مع كل تيارات الغياب والتغييب الجارفة، وفي مقدمتها سيل التفاهة الهادر الذي يكسح تراكمات هؤلاء الرواد والآباء، بأبعادها وتأثيراتها المختلفة والعميقة وامتداداتها الزمنية الطويلة، فيعدمها كأنها لم توجد أبدا.

محمد جليد

في ذكرى ميلاده.. هل ضاع كتاب ابن بطوطة الأشهر؟

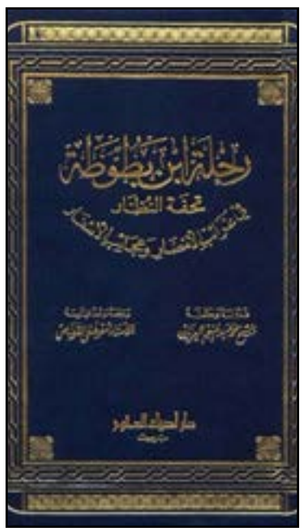

حلت ذكرى ميلاد ابن بطوطة الرحالة المغربي المعروف، صاحب أشهر كتب أدب الرحلات الموسوم بـ'تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار'، إذ رأى النور بالضبط يوم 24 فبراير 1304م في مدينة طنجة. وبهذه المناسبة، يطرح السؤال مجددا حول حقيقة ضياع نسخته الأصلية.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن النسخة الأصلية من رحلة ابن بطوطة ضاعت. أما الرحلة المنشورة حاليا، فما هي إلا تلخيص كتبه ابن جزي. ويبررون هذا الأمر بقول ابن جزي: "أنتهي لتدوين ما لخصته من تقييد ابن بطوطة." كما قال في موضع آخر: "ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها، موضحة للمعاني التي اعتمدها".

ويعد هذا الكتاب من أشهر كتب الرحلات في التاريخ؛ فقد عرف ابن بطوطة بكثرة أسفاره، وبسبب شهرته العالمية لقبته 'جمعية كامبريدج' بـ'أمير الرحالة المسلمين'. بدأ ابن بطوطة رحلته من طنجة مسقط رأسه؛ ناويا حج بيت الله الحرام، واتخذ في كل مدينة وقف فيها صاحبا، فحكى عنه وعن المدينة التي قابله فيها وقدر زمن رحلاته بما يقرب من الثلاثين عاما، وقد أملى على ابن جزي الكلبي تفاصيل تلك الرحلات ونوادرها، وبعدما انتهى من التدوين أطلق على مؤلفه هذا اسم: 'تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار'.

لم يكتف ابن بطوطة بالوصف الخارجي للأماكن التي زارها، بل استفاض في الحديث عن مداخل المدن ومخارجها وطبائع الشعوب المختلفة التي عاشرها، وسرد العديد من الحكايات المشوقة التي جعلته من رواد أدب الرحلات في الأدب العربي، حتى إننا لا نستطيع الإشارة إلى شخص كثير الترحال دون أن نلقبه بـ'ابن بطوطة'. يصف رحلة ابن بطوطة، ويتحدث عن أهلها وحكامها وعلمها، ويصف الألبسة بألوانها وأشكالها وحيويتها ودلالتها، ولا ينسى الأطعمة وأنواعها وطريقة صناعتها، بعد أن أمضى 30 عاما في الرحلات في بلدان العالم.

المغربي رشيد طلبي يوقع على 'نيرفانا الجاثوم'

وقع الشاعر والناقد رشيد طلبي، في الآونة الأخيرة، على رواية بعنوان 'نيرفانا الجاثوم'، صدرت في حجم متوسط، يقع في 237 صفحة، ويضم بين دفتيه عشرين فصلا.

يقول السارد: "الطلقات من جمجمتي بدأت. هل نمت أم ما زلت متيقظا. ربما أنا الآن ما بين بين. أشاهد دائما هذه الوحوش تطاردني. هل أنا فريسة متاحة إلى هذا الحد. حقيقة لا أعرف. بدأ الأوكسجين يقل في رئتي. وسينعكس هذا طبعا على عقلي، لذا تتكون لدي هذه الكوابيس بهذه الطريقة. هذا تفسير علمي للأشياء. لكن ما قاله لي فقيه المسجد السي عبد الحي مخالف لهذه الحقيقة. ماذا أفعل يا ترى؟ تحولت الوحوش إلى عسكريين يطاردونني بالسلاح. إنني أهرب مثل قط يخاف أن تنقض عليه الكلاب الوحشية، حتى المكان الذي سأهرب منه ليس إلا مرتفعات ومسارب وعرة يصعب التنقل فيها. كيف الخلاص إذن؟ تكاد هذه الطلقات أن تصيبني. ربما الآن أنا في عداد الموتى."

يذكر أن الرواية شاركت في جائزة كتارا في الدورة التاسعة، وتم انتقاؤها في صنف الروايات غير المنشورة ضمن اللائحة الطويلة.

فقاعة الإمارات

لست أدري متى سيحدث هذا الأمر، ولكنه سيحدث حتما لأن هناك قواعد وسنن لا أحد يحيد عنها.

في العشرين من شهر سبتمبر من عام 1997، وقف رجل يسمى مهاتير محمد، وهو آنذاك رئيس ماليزيا، في مؤتمر البنك الدولي بهونغ كونغ، ليلقي الخطبة الأكثر مرارة والأكثر خطورة في حياته. خطبة يجدر أن تكون درسا يلقن لسياسيي واقتصاديي الدول النامية مثلنا، ومن بين ما جاء في تلك الخطبة قال مهاتير محمد: "... كان لدينا يقين بأن دولنا سوف تنمو اقتصاديا وتصبح بشكل تدريجي من بين القوى الاقتصادية العالمية... لقد نسينا ما حدث لليابان وكوريا الجنوبية... ونسينا حتى ما وقع للمكسيك التي ركع اقتصادها على قدميه عندما سحب الأجانب أموالهم فجأة لتجد نفسها (أي المكسيك) مضطرة لاقتراض عشرين مليار دولار من أجل إنقاذ اقتصادها الممزق، وهناك من جنى أموالا كثيرة من وراء ذلك... إننا للأسف لم ندرك قربنا من أزمة اقتصادية هناك من قام بهندستها ...."

من هندس تلك الأزمة الاقتصادية التي تكلم عنها الرئيس الماليزي هو جورج سوروس، الملياردير ذو الأصل المجري الذي قال عنه مهاتير محمد: "... نصف قرن قضته دول شرق آسيا تعمل فيه ليل نهار لتحسين أحوال شعوبها وبناء اقتصاداتها بعرقها وجهدها ثم يأتي الآن معتوه مثل جورج سوروس ومعه الكثير من المال يحاول أن يقضي على كل ذلك ...."، لقد كان مهاتير محمد يتكلم عن الأزمة التي كادت تُسقط دولة ماليزيا من السماء إلى الأرض، بسبب مؤامرة قام بها الملياردير المجري-الأمريكي وأخرون، حين قاموا في البداية بضخ أموال كثيرة، في قطاعات كثيرة وحيوية بماليزيا، قبل أن يقوموا بسحب أموالهم كلها، وبشكل مفاجئ، لتجد ماليزيا، ودول أخرى مجاورة لها، نفسها على حافة الهاوية...

مناسبة هذا الاستهلال هو ما يحدوني من انطباع بخطورة إعادة إنتاج وضع مشابه تماما لما تعرضت له ماليزيا في بلادنا، فالمغرب دخل استحقاقات وتحديات اقتصادية كبيرة جدا، أغلبها الساحق يتعلق بالبنيات التحتية بمختلف أصنافها، وإن كان نصيب منها يتعلق بتطوير النسيج الاقتصادي، ويعتمد المغرب في إنجاز هذه المشاريع على اعتمادات ورؤوس أموال قادمة بشكل كبير من دول الخليج وخصوصا من الإمارات العربية المتحدة، وقد أصبحت هذه الأخيرة مثل فقاعة اقتصادية تتمدد بشكل جنوني عبر محاور الفقر والحروب من نواديبو إلى كراتشي مرورا بتركيا ودول عديدة أخرى في آسيا وإفريقيا، وأخشى أن نكون ضحية لانفجار هذه الفقاعة، سواء بشكل مبرمج أو بشكل عرضي.

إن الإمارات العربية المتحدة ليست دولة عظمى ولا يمكنها أن تصبح كذلك لعدة أسباب، أهمها أن التحول إلى دولة عظمى أمر يمر حتميا عبر خوض سلسلة قد تطول أو تقصر من الحروب، وليس عبر المضاربة، وثانيا لأن خوض تلك الحروب يتطلب عدة مقومات أهمها التوفر على مساحة جغرافية كبيرة أو اكتسابها بالقوة، ثم التوفر على قوة بشرية وعرقية هامة وجيش قوي عددا وعدة، أساسه الاكتفاء الذاتي من حيث الرجال والعتاد، وثالثها اقتصاد قوي مبني على نسيج صناعي هائل وغنى أو على الأقل استغناء فلاحي وأسطول تجاري جبار، وإيديولوجيا قادرة على تعبئة الموارد البشرية، وبنية قوية للبحث العلمي.

> **الإمارات العربية المتحدة ليست دولة عظمى ولا يمكنها أن تصبح كذلك لعدة أسباب**

إلا أن الطموح التوسعي لدولة الإمارات العربية المتحدة، لا ينبني على أي من المقومات السالفة الذكر، فهو طموح

توسعي قائم على المضاربة والإغراق المالي فقط، وعكس ما يظن البعض فإن المال المتوفر بهذا الشكل يعتبر لعنة، ليس فقط على أصحابه بل أيضا على مستقبليه كما حدث مع ماليزيا، وبالتالي من حقنا أن نتساءل، على ضوء تحالفاتها واصطفافاتها وحقيقة حجمها: ماذا تريد الإمارات؟ ولمصلحة من تقوم بكل ما تقوم به، وأية أجندة تخدم وهي تعلم أنها فاقدة لعوامل القوة التي ذكرناها من أجل تثبيت واستدامة ما تظن أنها تكتسبه، وأنها مثل رجل غني بدون وريث، قد ينهار في أية لحظة فيقسم إرثه بين الغرباء، وعليه فإن تمدد الإمارات العربية المتحدة لهذا المدى وبهذه السرعة إما أنه كما قال مهاتير محمد عمل مهندس له لهدف مخفي في علاقة ذلك ببعض الاقتصادات الصاعدة أو المنافسة، مثلنا، أو أنه محكوم بالانهيار مثل فقاعة، حين يفقد أصحابها السيطرة على حجمها مما سيؤدي إلى سحب أو توقف مصادر الإمداد المالي المفترض توفرها على المديين المتوسط والطويل لإنجاز المشاريع السالفة الذكر. وفي كل الحالات فإن حجم الاستثمارت والانتشار الجغرافي للمال الإماراتي، بغض النظر عن ضحاياه بأي شكل، فقد أصبح يتجاوز قدرة تلك الدولة على إدارته وتأطيره مباشرة، مما يعني استثار أطراف أخرى محددة وبشكل مباشر بالنصيب الأكبر من إدارة هذه الاستثمارات، دون أن يكون بإمكان الإمارات مراجعة نهجها التوسعي هذا أو التراجع عنه أو تقليصه، لأنه أصبح مرتبطا بشكل وثيق بمصالح دول عظمى ومنظمات كبرى، لذلك ستستمر أبو ظبي في ضخ تلك الاعتمادات دون أن تكون لها السيطرة عليها ، بل ستأتي لحظة في سياق هذا النهج وهذا " التطور"، توضع فيها الإمارات العربية المتحدة أمام خيارات صعبة بل ومدمرة، أهمها أن الدول العظمى، الغربية طبعا، ستطالبها بإصلاحات سياسية جوهرية بذريعة التحول إلى الديموقراطية، بدءا بقانون الجنسية مرورا عبر منح حق التصويت للأجانب، وحيث أننا أمام دولة لا يشكل سكانها الأصليون أكثر من ستة عشر بالمائة من مجموع سكان البلاد، فإن حكومة الإمارات ورئيس وزرائها وربما أيضا عمداء إماراتها، سوف يكونون إما هنودا أو فلبينيين أو غيرهم، دون أن يكون لهم أي ولاء لشيوخ القبائل الإماراتية بل لمراكز النفوذ الحقيقية عبر العالم والكلام هنا عن واشنطن ولندن وباريس وتل أبيب تحديدا.

إرهاصات هذا المسار بدأت فعلا مع تدشين ما يسمى بالديانة الإبراهيمية والمعابد الهندوسية وغيرها بما يعني قريبا إقرار حقوق الأقليات العرقية والاجتماعية وبالتالي تبني مؤسسات "ديمقراطية" تنتخب بالتصويت . سيجعل هذا المسار الإمارات العربية بالفعل مثل فقاعة تتسع وتتسع ثم تنفجر بشكل مبرمج وتتحول إلى سراب دون أثر، وهو انفجار أو نوع من التدمير الذاتي المبرمج لأن استمرارها في التمدد سيضعها حتما وعاجلا أو آجلا في مواجهةٍ وصراعٍ مصالح مع امبراطوريات حقيقية مثل الولايات المتحدة الأميركية والصين وروسيا والاتحاد الأوروبي، وسيتسبب انفجار تلك الفقاعة في حدوث أزمة اقتصادية ومالية وسياسية كبيرة، لن تقتصر على منطقة الخليج بل قد تصيبنا بعض شراراته لا قدر الله، إذا ما تم شفط المال الإماراتي بعدما يكون قد تحول إلى عامل أساسي في كينونة وحركية الاقتصاد الوطني... وللعلم فقد سبق لجورج سوروس أن حاول فعل نفس الشيء مع المغرب لولا يقظة المؤسسات المالية للدولة.

كيليان مبابي.

حسن بركة.. المغربي الذي ربط قارات العالم بالسباحة

محمد الحاجي

عندما وصل السباح حسن بركة إلى نقطة بحرية في البحر الأحمر، بين مصر والسعودية، في محاولة ربط قارتي إفريقيا وآسيا بالسباحة، وقبل أن يصل إليه زورق خفر السواحل السعودي لتأمين بقية رحلته إلى اليابسة، شعر بجسم ضخم يمر على يساره في هدوء، كان قرشا من النوع الفتاك الذي يؤمن فريسته قبل الانقضاض عليها.

حاول حسن عدم الالتفات إلى حيث القرش لتجنب تبعات الخوف، إلى أن تدخل رجال خفر السواحل السعوديون بوضع آلات يدوية داخل المياه تحدث صدى صوتيا يبعد جميع الكائنات البحرية عن المكان، ورافقوا السباح المغربي إلى الشاطئ لينهي المرحلة الأخيرة من هدفه الذي أدخله التاريخ وموسوعة غينيس للأرقام القياسية كأول إنسان يربط قارات العالم الخمس بالسباحة.

كانت هذه واحدة من المخاطر الكبيرة التي واجهته في مغامرته الفريدة، من ضمن مرات عديدة كان قاب قوسين أو أدنى من الهلاك بسبب أحوال البحار والمناخ وهجمات الكائنات البحرية، لكن عزيمته القوية وتصميمه على بلوغ مقصده كان دائما حافزا له على الاستمرار.

تطواني الولادة ومدريدي المنشأ

ولد حسن بركة في العاشر من أبريل من عام 1987 بمدينة تطوان، وبها درس في سنواته الأولى قبل أن يستقر في العاصمة الإسبانية مدريد ويكمل مشواره الدراسي إلى الباكالوريا، ثم الدراسات الجامعية، حيث حصل على الإجازة في الاقتصاد متخصصا في التحقيق التجاري، وبعدها انتقل سنة 2012 إلى مدينة تولوز الفرنسية لنيل دبلوم الماستر في إدارة المؤسسات والاستشارات الرياضية.

كانت الرياضة دائما جزءا من حياة حسن بركة. فمنذ وصوله إلى سن الرابعة من عمره، ألحقه والداه بجمعية لرياضة الجيدو، ثم لعب بعد ذلك كرة القدم مع الفئات الصغرى لأحد أندية الهواة في مدريد، وفضل التوجه إلى رياضة الري بي مستغلا طوله وبنيته الجسدية القوية، ولعب في دوري الدرجة الأولى الإسبانية. لكن مسيرته في الري بي انتهت فجأة بعد تعرضه لإصابة خطيرة في الكتف في عام 2009. هذه الإخفاقات المتتالية، كان من الممكن أن يستسلم معها الآخرون، لكنها شكلت شخصية حسن فيما بعد من حيث الإصرار على النجاح.هكذا ركز حسن بركة

على السباحة كنوع رياضي آخر كان يستهويه ويمارسه بين الفينة والأخرى، إلى أن قرر التفرغ له وتخطيط أهداف مستقبلية كانت تبدو نوعا من الأحلام بعيدة المنال، ومغامرة لديها نسب ضئيلة في النجاح، ومن بينها ربط قارات العالم الخمس بالسباحة.

رحلة التحدي.. مغامرة تحققت

في 30 من يناير من عام 2014 أعلن حسن بركة عن انطلاقه في تنفيذ فكرته المغامرة لربط قارات العالم بواسطة السباحة الحرة، سماها "رحلة التحدي"، والتي استلهمها من نجاحه في عبور مضيق جبل طارق بين المغرب وإسبانيا، رابطا بذلك قارة إفريقيا وأوربا.

قال لوسائل الإعلام وقتها إن أهدافه من هذا التحدي "ليست رياضية فقط، بل تتعداها إلى إشاعة قيم التضامن والعطاء، وتحقيق الإنجازات، وحماية البيئة، إضافة إلى ترويج صورة جيدة عن المغرب".

هكذا انطلق حسن بركة إلى مضيق البوسفور ليربط قارتي آسيا وأوروبا انطلاقا من إسطنبول الشرقية إلى إسطنبول الغربية، كما ربط قارتي أوربا وأمريكا عبر السباحة بين جزيرتي ديوميد الصغرى والكبرى في ألاسكا بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، في مسافة هي الأصعب بحكم درجة حرارة مياهها المنخفضة، و من مصر إلى السعودية عبر البحر الأحمر ليربط بين إفريقيا وآسيا عبر مسافة تبلغ 25 كيلومتر، كما تمكن من العبور سباحة من مدينة يوتونغ بجمهورية بابوازيا غينيا الجديدة، إلى الشواطئ الإندونيسية، رابطا بذلك بين قارتي آسيا وأوقيانوسيا.

خلال هذه الرحلات الشاقة، كان حسن بركة يدخل في استعدادات مكثفة وقاسية لكي يتأقلم جسده مع الخصوصيات المناخية لكل مرحلة، ويتدرب باستمرار على كيفية التعامل مع التيارات البحرية المتقلبة، بالإضافة إلى الانضباط لتعليمات طاقمه المتخصص في الأمور البدنية والطبية والنفسية.

أرقام قياسية مختلفة

بالإضافة إلى نجاحه في هدف ربط قارات العالم بالسباحة، استطاع حسن بركة تحقيق رقم قياسي كأول مغربي يسبح في مياه متجمدة تصل إلى أربع درجات فقط لمسافة بلغت 1600 متر، وذلك بحيرة أ لمام أز ـزا بضواحي مدينة خنيفرة، وهو رقم معترف به ومسجل في قائمة الرابطة الدولية للسباحة داخل الجليد. كما يعد السباح حسن بركة أول مغربي استطاع إنهاء تحدي 7 ماراطونات في 7 أيام في 7 قارات، سنة 2015 بمحطة السويد، بواسطة رياضة تعرف باسم "بينسويمران" والتي تضم رياضتي الجري والسباحة، بالإضافة إلى حمله لرقم قياسي عالمي مسجل في موسوعة غينيس للأرقام القياسية، ويتعلق بعبور خليج العقبة سباحة في توقيت 8 ساعات و30 دقيقة و42 ثانية.

المعرض الدولي للخشب
SALON INTERNATIONAL DU BOIS
01 - 10 مارس 2024
قرب باب القزدير مكناس

المملكة المغربية
Royaume du Maroc
وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي والتضامني
Ministère du Tourisme, de l'Artisanat, de l'Economie Sociale et Solidaire
غرفة الصناعة التقليدية لجهة فاس مكناس
Chambre d'Artisanat de la Région Fès-Meknès

بـــلاغ صحفـــي

تنظم غرفة الصناعة التقليدية لجهة فاس – مكناس بشراكة مع وزارة السياحة والصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي والتضامني و مؤسسة دار الصانع ومجلس جهة فاس مكناس وجماعة مكناس ومجلس عمالة مكناس بتنسيق مع المديريات الجهوية والاقليمية للصناعة التقليدية والاقتصاد الاجتماعي والتضامني بالجهة « المعرض الدولي للخشب في نسخته الخامسة وذلك من 01 إلى 10 مارس 2024 بالساحة المجاورة لباب القزدير بمدينة مكناس.

وتهدف الدورة الخامسة للمعرض للمساهمة في إنعاش ورفع قيمة الصناعة التقليدية للخشب عبر التعريف المتميز بمهنها لدى العموم، وإعادة بث دينامية جديدة في مجال تسويق منتجاتها مع تمكين الزوار من الإطلاع على إبداعات الصناع التقليديين ، وهي فرصة لتبادل الخبرات بين الحرفيين من مختلف جهات المملكة ونظرائهم الدوليين.

يتضمن المعرض الذي سيقام على مساحة إجمالية تقدر ب 7000 متر مربع أكثر من 160 رواق لفائدة الحرفيين الذين يمثلون المقاولات الحرفية التي تشتغل في قطاع الخشب والتعاونيات المهنية بالإضافة لفاعلين متخصصين في العتاد التقني للنجارة، كما يستضيف المعرض شخصيات وازنة على الصعيدين الوطني والدولي مهتمة بهذا القطاع وامتداداته.

ويضم المعرض فضاءات خاصة بالتحف والقطع المهددة بالانقراض ومنتجات خريجي معاهد التكوين المهني ومنتجات مؤسسة محمد السادس لإعادة إدماج السجناء وجناح تجاري للبيع وآخر للتصاميم وعروض على المشاغل وفضاء الأطفال وجناح للعتاد التقني وفضاء للإعلام والصحافة.

ستعرف الدورة الخامسة للمعرض الدولي للخشب تنظيم ورشتان تكوينيتان حول السلامة الصحية والمهنية بقطاع الخشب والتصميم بقطاع الخشب وندوة حول مكانة شجرة الأرز بقطاع الخشب وأخرى حول مستجدات التغطية الصحية والاجتماعية يؤطرها باحثون وخبراء ومؤسسات في الميدان لفائدة العارضين و الحرفيين والصناع التقليديين، بهدف تقوية قدراتهم وتأهيل معارفهم. كما ستعرف هذه الدورة تنظيم سهرات فنية طيلة أيام المعرض تحييها فرق فلكلورية من التراث المغربي الأصيل.

تميزت الدورة الرابعة للمعرض الدولي للخشب الذي احتضنته العاصمة الاسماعلية من 27 شتنبر إلى غاية 06 أكتوبر 2019 نجاحا متميزا على مختلف المستويات حيث بلغ عدد الزوار : 98.000 زائر، وبلغ رقم المعاملات:

8.000.000, 00 درهما.

وتجدر الإشارة أن قطاع الخشب يحتل مكانة هامة في المعمار المغربي وفي صناعة الأثاث، حيث تستعمل فيه تقنيات متنوعة كالنحث والنقش والخرط والتقطيع والزخرفة والترصيع.

وتتميز جهة فاس مكناس بالغنى الغابوي وانتشار أشجار الأرز وتعتبر هذا الجهة من بين أهم المراكز التي يمارس فيها النقش على الخشب، حيث تمثل الصناديق الفاخرة والرفوف والمكتبات والمقاعد التي تحمل زخارف ونقوش هندسية وآيات قرآنية المكتوبة بالخط الكوفي على خشب الأرز من أبرز ما تنتجه صناعة الخشب بالمدينتين.

للاتصال: المنسق الاعلامي للمعرض الحسن ساعو الهاتف - الواتساب

رقم 2، إقامة الرياض، زنقة شكيب أرسلان، ص ب : 2030 م ج ، فاس | الهاتف: 05.35.65.17.58/05.35.65.40.69/05.35.94.03.71 | الفاكس:0535650640
N°2, Résidence Riad,Rue Chakib Arsalane.B.P :2030 V.N- Fès. | Tél : 05.35.65.17.58/ 05.35.65.40.69/ 05.35.94.03.71 | Fax :05.35.65.06.40
E –mail :chambreartisanatfes@gmail.com :البريد الإلكتروني | Facebook : chambre d'atrisanatfesmeknes : الفايسبوك
Site : www.carfm.ma

محمد الحاجي

شغب جمهور كرة القدم.. الأسباب والمظاهر

يعتبر العنف والشغب حول المباريات من أبرز ما يهدد أمن واستقرار النشاط الرياضي، ويزيحه عن الهدف النبيل الذي وجد من أجله، وهو تحقيق الفرجة والمتعة للجمهور والمتابعين، ليتسبب في خراب المنشآت العمومية وممتلكات الأفراد وتهديد الأمن العام. فبالإضافة إلى كون هذه السلوكات العنيفة في متابعة المباريات الرياضية، ترتبط بنوعية الأفراد الذين يشكلون الجماهير، فهي ترتبط بسياقات أخرى سياسية واجتماعية واقتصادية وتنظيمية أيضا.

في المغرب، تعرف ملاعب كرة القدم منذ سنوات تزايدا مهولا لظاهرة العنف والشغب في أوساط الجماهير حتى تحولت في الآونة الأخيرة إلى سلوكات إجرامية يتم تنفيذها بعد تخطيط قبلي، وعن سبق إصرار و ترصد.

مئات الاعتقالات تمت في حق الراشدين والقاصرين، وعشرات الأحكام بالسجن والغرامات، وقرارات عديدة باللعب بدون جمهور وحرمانه من التنقل إلى مدن أخرى، لم تنفع في فرملة هذه الظاهرة المشينة، حيث بدت السلطات في كثير من الأحيان عاجزة عن فرض إجراءاتها التنظيمية لتفادي تكرار أعمال التكسير والتخريب والسلب والنهب التي تقوم بها الجماهير في أغلب المباريات.

بالعودة إلى أسباب الظاهرة، يمكن أن نجد لها جذورا ترتبط بما يتعلق بكرة القدم، بالإضافة إلى التأثيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويمكن استعراضها فيما يلي:

أسباب نفسية

يرى معظم الباحثين والأخصائيين النفسانيين، بأن الظروف الاجتماعية من بطالة وفقر وهدر مدرسي قد تدفع المتفرجين والأنصار خاصة المراهقين إلى استغلال هذه الفرصة، للقيام بأعمال الشغب والعنف نظرا لمعاناتهم النفسية، وحالة الفراغ والإحباط التي يعانون منها، مما يسهل إثارتهم للقيام بتلك التصرفات، التي تعد وسيلة لتأكيد الذات وحب الظهور، والهيمنة من وجهة نظرهم.

وتعتبر العوامل النفسية من أهم أسباب العنف في الملاعب، وأكثرها تعقيدا لأنها متعلقة بالرواسب الشخصية للفرد المتفرج، ويصعب تصنيفها وتفسيرها وتحليلها. فالشخص الذي له مكبوتات سلبية اتجاه نفسه أو اتجاه الآخرين، نتيجة الشعور بالإهانة أو الإحباط وضيق الأفق، يحاول إعطاء ردة فعل منافية للمجتمع وللأخلاق بالاعتداء على الأشخاص أو تخريب الممتلكات العامة، ويحاول جلب الانتباه، وإثبات نفسه عن طريق السلوكات العنيفة والعدوانية.

وللعوامل النفسية دور كبير في توجيه سلوك الفرد، فالشعور بالألم النفسي والبدني حتى قبل المباراة يعتبر بمثابة انطلاقة لأحداث العنف، كالإرهاق الجسدي الذي يسبق الدخول للملعب، والصعوبات والتجاوزات التي تسبق شراء التذاكر مثلا، كما يعتبر الشعور بالإحباط، من أبرز العوامل التي تحفز على العنف، خاصة أن هذا الشعور لا يرتبط بنتيجة انهزام الفريق فقط، كما كان يحدث سابقا، حين كانت معظم أحداث العنف تأتي نتيجة خسارة فريق ما، لأن الجمهور تفكيره كان محصورا بالفوز على المنافس فقط، أما في السنوات الأخيرة فأصبح المشجعون يذهبون إلى الملعب وهم يحملون ضغوطات الآفات الاجتماعية التي يعيشونها، فالكثير من أعمال الشغب تكون ناتجة عن نفسية محبطة بالضغوطات والمشاكل الشخصية، والعنف في الملاعب أصبحت نسبة كبيرة من أسبابه لا علاقة لها بنتائج المباريات.

أسباب اجتماعية وتربوية

وجود الاحتقان الاجتماعي وضيق الأفق خصوصا لدى الفئات الشابة، يتطور إلى اكتساب ثقافة العنف، ويتم ترجمته عبر عنف لفظي أو رمزي. وهو ما يظهر جليا في الملاعب الرياضية. وبالإضافة إلى الاحتقان الاجتماعي، هناك عامل أخر يتمثل في عدم وجود ثقة بين المجتمع وبين الدولة، حيث تسود نظرة سلبية تجاه بعض المؤسسات، لتصبح الملاعب متنفسا لتفريغ هذه المشاعر السلبية، والتي تتحول في بعض الأحيان إلى أعمال عنف وشغب.

كما أن تراجع دور الأسرة والمدرسة في تربية الناشئة على القيم المجتمعية السليمة، ونبذ العنف، وإيصال مفهوم الرياضة الحقيقي للطفل في مرحلة التعليم الابتدائي، وغرس الروح الرياضية لديه في المنافسات وكذلك توعيته بمخاطر العنف الرياضي، وانعكاساته السلبية على المجتمع.

التعصب للنادي

غالبا ما ترتبط مشكلة تعصب جمهور كرة القدم بالشباب والمراهقين، فهم الفئة الأكثر متابعة وتشجيعا لكرة القدم، والأكثر حضورا في الملاعب أيضا، حيث تتميز هذه المرحلة من العمر بحب الفرد للظهور والقوة والحماس الزائد، وسلوكات العنف التي تصدر من هذه الفئة، ماهي إلا وسيلة لإشباع الرغبات والحاجيات. وقد أوضح علماء نظرية التعلم الاجتماعي أن العنف ظاهرة مكتسبة يتعلمها الأفراد كما يتعلمون أي سلوك آخر سواء كان إيجابيا أو سلبيا. كما توصل إليه عالم النفس الاجتماعي ألبرت باندورا "السلوك العدواني هو سلوك اجتماعي يتعلمه الأطفال من خلال النماذج المتعددة لمظاهر العدوان في المجتمع، ويتم اكتسابه من طرف الأفراد، فهذه الظاهرة ليست غريزية وليست بيولوجية وليست بسبب الحرمان".

أداء حكام المباريات

يعتبر الحكم رجل المباراة الذي يسود معه النظام والسير الحسن لمجريات المباراة، والناشر للروح الرياضية سواء على أرضية الملعب، أو فوق المدرجات، من خلا قراراته وتسييره السليم للمباراة، ولا يمكن تخيل مباراة من دون حكم، و تشير الكثير من الدراسات والأبحاث في بعض البلدان أن للحكام دور أكيد في شغب الملاعب الرياضية، وذلك نتيجة لانحياز بعض الحكام إلى فريق معين أو تعاطف الحكم مع لاعب معين، وقد تكون أخطاء غير مقصودة من الحكام، غير أنها تتسبب في احتجاج اللاعبين والمدربين، فتنتقل العدوى إلى الجمهور الذي يصعد من ردة الفعل ويتحول الأمر إلى أعمال شغب تنتهي في كثير من الأحيان إلى خارج الملعب.

التحريض الإعلامي

إذا كان الإعلام بمختلف وسائله يساهم في تقويض ظاهرة العنف بالتوعية بمخاطرها وتبيينها كسلوك مناف للأخلاق الرياضية، إلا أنها من ناحية أخرى قد تلعب دورا عكسيا في التحريض على العنف والشغب لدى الجمهور، وذلك بنقل بعض التصريحات الاستفزازية للاعبين والمدربين والمسيرين، مما يكون له وقع سيء على جمهور الفريق المنافس، ويتولد لديهم استعداد مسبق قبل المواجهات للجوء إلى وسائل التشجيع العنيفة ردا على تصريحات خصومهم.

وانضافت إلى وسائل الإعلام، مواقع التواصل الاجتماعي التي بقدر ما ساهمت في تأطير المشجعين لنفس النادي داخل مجموعات "الإلترا"، بقدر ما رفعت منسوب العنف اللفظي في مواجهة جماهير الخصوم، حتى تحول إلى تحريض ضد جمهور هذا الفريق أو ذاك، أو التخطيط لمواجهة عنيفة ضده في المدرجات، أو في الشارع ضد قوات الأمن.

أهمية المباراة

يلعب هذا العامل دورا مهما في إثارة العنف، فكلما كانت المباراة ذات أهمية أو مصيرية (بالمعنى الرياضي)، كلما زادت مظاهر العنف، كأن يتعلق الأمر بمباراة كلاسيكية أو ديربي، أو ستحسم الصراع على ريادة ترتيب البطولة الوطنية أو النزول إلى الأقسام الموالية، أو الأدوار المتقدمة، لذلك نسجل ارتفاع في حوادث العنف في الملاعب كلما اقتربت البطولات المحلية من الانتهاء، بعدم تقبل الأنصار للهزيمة وضياع اللقب، أو السقوط لقسم رياضي أقل مستوى.

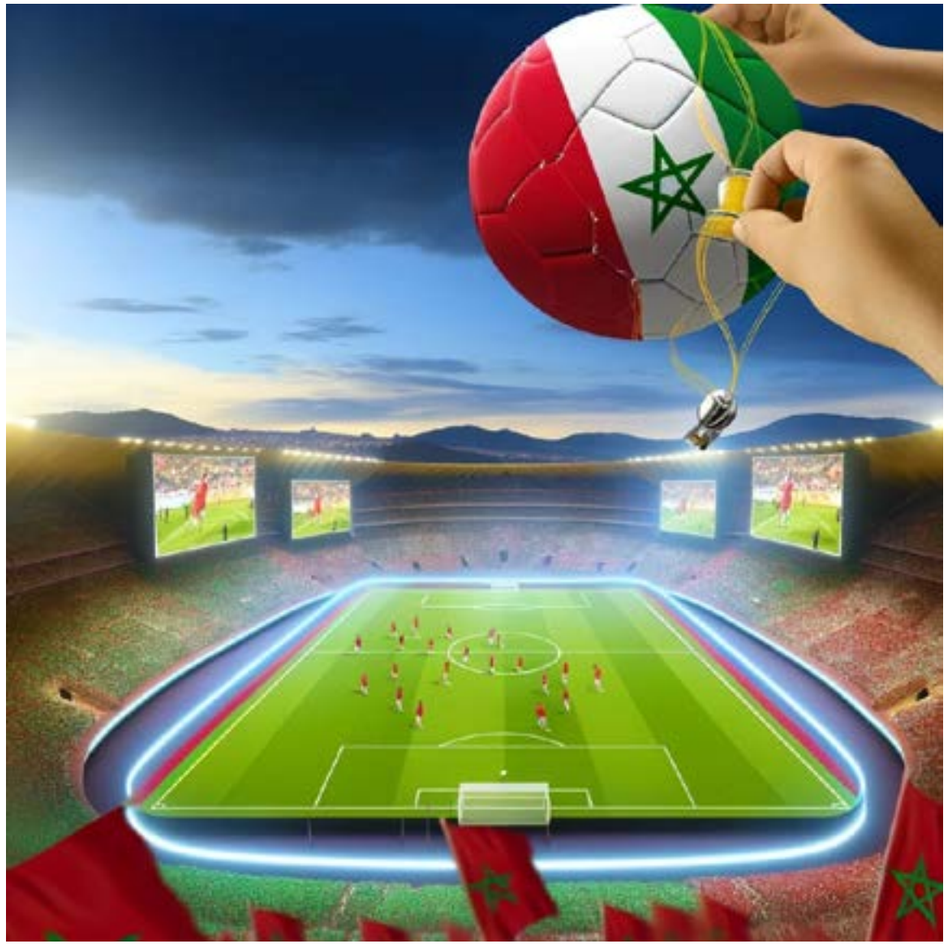

توصلنا من مركز "أوميغا" للأبحاث الاقتصادية والجيوسياسية، بورقة إخبارية-تحليلية حول مشروع يرمي لخلق صناعة كروية بالمغرب.
المركز يؤكد ضرورة وضع آليات مسبقة لتقنين الممارسة ورفع مستواها قبل إطلاق هذا المشروع الكبير بعد أربعة أشهر.

ثورة كروية قادمة.. من الهواية للصناعة

لسان المغرب

منذ سنوات انتقلت كرة القدم من الهواية المبنية على الفرجة لصناعة قائمة بذاتها تتوخى التسويق والربح دون أن تفرط في مادتها الخام ألا وهي الفرجة. في أوروبا وبدرجة أقل بأمريكا اللاتينية، صار النادي مقاولة مدرجة بالبورصة يمتلك مستثمرون جزء من أسهمها، ولعله الأغلبية، فيما يتبقى جزء قيد التداول الحر بالسوق المالي مفتوح للعموم وللمستثمرين الصغار. المقاولة-النادي تضم كل مقومات الشركات العصرية من امتلاك أصول عبارة عن بُنى تحتية رياضية وعقارات تدر أموالاً لدعم الأصول. والتفاصيل صارت كتاباً مكشوفاً بإمكان الجميع أن يطلع عليها والاقتداء بما هو إيجابي فيها عند الحاجة.

بالمغرب، كانت هناك رغبة سياسية من أعلى سلطة في البلد للانتقال بالكرة المغربية من الهواية للاحتراف عبر مراحل، ولتلك الغاية تم إخراج قانون للوجود هو قانون 30-09 سنة 2009 أي سنة واحدة بعد الرسالة الملكية الشهيرة للعام 2008. هذا السياق العام مهم ولابد من استحضاره لفهم مآلات الاحتراف والأرضية التي يجب أن يُبنى عليها. وهنا سنعرض للمشروع الكروي الكبير الذي سيرى النور بعد نهاية الموسم الكروي أي في يوليوز 2024، لكن قبل ذلك لابد أن نضع المتلقي في الصورة بخصوص الشركة الرياضية للأندية، بين ما نص عليه قانون 30-09 وبين الواقع الذي تعيشه جل الأندية المغربية لنفهم جيداً في أي محيط سيتم إطلاق المشروع الثوري للتكوين ولتدبير الفئات الصغرى وتقييم حظوظ نجاحه.

حتمية الانفتاح على الاستثمار الرياضي

في سنة 2009، تم اصدار القانون 30-09، والذي ينص باختصار شديد على ضرورة خلق شركات رياضية من طرف أندية كرة القدم الاحترافية هدفها تدبير الفريق الأول وترك تدبير الفئات الصغرى للجمعيات الرياضية. وقد وقع ارتباك بين النسختين العربية والفرنسية. ففي الأولى نفهم أن الشركة الرياضية بإمكانها اقتناء ثلثي حصص النادي ويبقى الثلث للجمعية، فيما النسخة الفرنسية تشير لـ70% للشركة و30% للجمعية.

ورغم مرور 15 سنة على صدور هذا القانون، لم يتم تعديل النسخة الفرنسية لتتطابق مع النسخة العربية التي هي الأصل (اللغة الرسمية). لكن يبقى هذا تفصيل صغير أمام أهمية جوهر القانون الذي يُجبر الأندية للانتقال إلى مرحلة الشركة الرياضية. إلا أن الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم سواء على عهد علي الفاسي الفهري أو فوزي لقجع وجدت صعوبة كبيرة في إقناع الأندية بهذا الإصلاح. فرؤساء الأندية وهم المصوتون على أي انتخابات في الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، بحكم أنهم أعضاء هذه الجمعية، كانوا يمارسون ضغطاً رهيباً لعدم تطبيق هذا القانون. وحتى لما فهموا أن لا مناص من ذلك، لجأوا لطريقة التسويف والتماطل مما جعل رئيس الجامعة سنة 2017 يحدد تاريخ نهاية دجنبر 2017 لتطبيقه وإلا أنزل عقوبات بالأندية المخالفة.

ابتداء من العام 2018 تم تقريباً تعميم الشركات الرياضية داخل الأندية، لكن بطريقة مختلفة عما ينص عليه قانون 30-09. فإذا كان هذا الأخير قد مهد الطريق للمستثمرين للدخول لهذا المجال لتطويره ورفع مستواه، فإن رؤساء الأندية لجأوا إلى طريقة أخرى، هي خلق شركات رياضية تملك الجمعية غالبية أسهمها حتى لا يفقد رئيس النادي (الجمعية) السيطرة والمبادرة. تولد عن ذلك فوضى عرفتها ومازالت تعرفها بعض الأندية، وذلك عندما يغادر رئيس النادي منصبه ويرفض أن يسلم الشركة الرياضية مما خلق عدة مشاكل للعديد من الأندية بلغ بعضها "البلوكاج" التام وإعاقة السير العادي للنادي.

إن الحل لهذا الوضع الذي يجر الأندية المغربية إلى مستنقع الهواية عوض رفعها إلى مستوى الاحتراف الحقيقي، هو التطبيق السليم لقانون 30-09. لكن هذا المَخرج الكفيل برفع مستوى الأندية إلى مستوى نظيرتها الأوروبية كما كانت عليه قبل ثلاثين سنة وأكثر، يتطلب وضع لبنات ذلك وهي أُسس لا مناص منها للوصول لصناعة كروية حقيقية، ولتقليص فارق الثلاثين سنة ونيف التي تبعدنا عن المستوى الأوروبي.

لا شك أن أولى معضلات تسيير الأندية المغربية هي الحكامة التي تعتبر أم الإشكاليات. فمهما وُضِعت القوانين وشيدت البُنى التحتية وتم توفير الرساميل اللازمة، ففي غياب تدبير ناجع وشفافية كاملة وضوابط محددة، لن تُحل المعضلة. من هذا المنطلق لابد من توفير بعض شروط النجاح قبل التنزيل الكامل لقانون 30-09 :

1- إنهاء حقبة التدبير الفردي الذي

يعتمد على الشخصنة بوضع دفتر تحملات لـ"بروفايل الرئيس"، تتضمن ضمانات النجاح في التدبير (وليس في النتائج) حتى يتم إبعاد بعض النماذج والقطع مع التسيير العشوائي. الهدف هو بلوغ أطر مُكونة جيداً لرئاسة الأندية مما يمكنها من استيعاب ومواكبة كل مشاريع تطوير الكرة المغربية على اعتبار رؤساء الأندية شركاء في التسيير العام للكرة المغربية بحكم عضويتهم في الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم.

٢- سن قانون اللعب النظيف الذي يحدد سقف مصاريف الأندية حسب مداخيلها ويمنع بالتالي ظاهرة "الإنتدابات" العشوائية والتي تحكمها أحياناً ممارسات غير مسؤولة، ويؤطر عقودها بمعايير محددة وضوابط زجرية تُبعد بعض الوكلاء "المفترسين" الذين يفسدون اللعبة.

٣- في إطار تطوير المنتوج الكروي واعتباره أحد روافد القوة الناعمة لإشعاع المملكة، يمكن للحكومة أن تقدم مبادرة للدعم المالي، على غرار ما قامت به اتجاه قطاع الصحافة. وتعتبر كرة القدم محظوظة مادام المشرف الأول عليها هو نفسه وزير الميزانية، مما قد يسهل جرداً شاملاً من متأخرات الضرائب من أجل إلغائها بشكل كامل والانكباب على مديونية الأندية لتسديدها مقابل التزام الأندية لخريطة الطريق الجديدة.

ويذكر أن الحكومة قد خصصت لقطاع الصحافة بين 2020 و2023 حوالي 700 مليون درهم، فيما مجموع ديون الأندية المغربية في حدود 300 مليون درهم. الهدف هو انطلاق الأندية في أفق بداية الموسم المقبل بصفحة بيضاء لكن بشروط صارمة في الحكامة في انتظار الانتقال للمرحلة الثانية القاضية باستقطاب مستثمرين للأندية.

> **أنشأ مكتب OCP شركة رياضية خاصة منذ العام 2022**

٤- الانفتاح على المستثمرين المغاربة والأجانب من خلال الصناديق الاستثمارية وشركات توظيف رؤوس الأموال، بهدف التطبيق الكامل للقانون 30-09 الذي يخول للمستثمرين تسيير الفريق الأول من الألف للياء، وتخويل الجمعية تسيير الفئات الصغرى. دخول المستثمرين للأندية بهذه الطريقة هو الذي سيضع حداً لنظام المنخرطين الذي أبان عن محدوديته وجعل بعض الأندية رهينة بيد بعض "محترفي" الانخراط! بالطبع، الانتقال إلى هذا النظام يقتضي التدرج وبالتالي بالإمكان الانطلاق بمرحلة تجريبية، بناديين أو ثلاثة قبل التعميم. بهذه الطريقة فقط سيكون بإمكان الأندية المغربية الانتقال للاحتراف الحقيقي والبصم على بداية مرحلة "الصناعة الكروية" التي تعتمد على التكوين الرفيع الذي ينتج عشرات بل مئات الجواهر الكروية والتي بإمكانها أن تشكل المدخول الرئيسي للأندية و حتى مورداً للعملة الصعبة للبلد على غرار بعض دول أمريكا الجنوبية.

الصناعة تبدأ من القاعدة

الانتقال من وضعية احتراف مقنّع إلى احتراف كامل شبيه بالأنظمة الكروية الأوروبية، يقتضي البدء من القاعدة، لأن أي قَلْبٍ لهرم الأولويات من شأنه أن يجعل بلوغ أهداف هذا التحول صعباً إن لم يكن مستحيلاً. لذلك لا مناص من الاشتغال على تكوين الفئات الصغرى في إطارٍ منظم بعيد عن العشوائية، يعتمد على أحدث مناهج التكوين الرياضي العلمي وموارد بشرية فائقة التكوين البيداغوجي والتقني مع تحمل ما يقتضيه ذلك من مصاريف كبيرة.وهنا لا بد من الحديث عن المشروع الذي قد يُطلق بعد نهاية الموسم الحالي، والذي يخص تفويت قطاع التكوين لشركات خاصة. ولفهم هذا المشروع جيداً لابد من وضعه في سياقه. لقد كانت مجموعة المكتب الشريف للفوسفاط (OCP) سباقة للاشتغال على هذه المبادرة قبل سنتين، والهدف هو رفع مستوى التأهيل البشري لدى الفرق المحتَضَنة من طرف المكتب، وهي الدفاع الحسني الجديدي وأولمبيك آسفي وأولمبيك خريبكة. بعد ذلك، اشتغل المكتب مع الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم على تعميم التجربة مع إشراك شركات خاصة وربما عمومية تحدو حدو OCP مع أندية أخرى. للتذكير، أنشأ مكتب OCP شركة رياضية خاصة منذ العام 2022 ، بمكتب مديري يديره مدير عام، وبهيكلة تنظيمية تضاهي أكثر الشركات تنظيماً. وقد وضع المكتب رهن الشركة كافة الإمكانات المادية لتأمين تدبير ناجع. وهكذا تم تخصيص حوالي 400 مليون درهم بين رأسمال اجتماعي واستثمار أولي خاص بالأندية الثلاثة السالفة الذكر، وهو غلاف مالي قابل للارتفاع حسب تقدم المشروع.

كما تم وضع خارطة طريق واضحة المعالم لإنجاح التجربة من مختلف المناحي. وقد اشتغل مكتب OCP مع جامعة الكرة، من خلال عشرات الاجتماعات التقنية، على خلق نموذج يمكن استنساخه من طرف شركات أخرى، وباقي الأندية في أفق تعميمه .

يتعلق الأمر بتعاقد بين النادي والشركة، يفوت الطرف الأول للطرف الثاني تدبير شؤون الفئات الصغرى بكل مناحيها البشرية والتقنية واللوجستيكية والمالية، بواسطة عقد يحدد التزامات وحقوق كل طرف. ودون الخوض في التفاصيل الصغيرة، فمن الهام أن نذكر أن النادي لن يفقد فئاته الصغرى بشكل تام بموجب هذا العقد، وإنما ستكون له أولوية التعاقد مع خريجي الشركة الرياضية مقابل عقد احترافي بمبلغ رمزي قدره 300 ألف درهم. وتحتفظ الشركة ب 25% من حقوق تفويت اللاعب بعد ذلك لأي ناد، وستشكل هذا الموارد غالبية مداخيل الشركة لتمويل أنشطتها.

وإذا كنا نعرف أن الاستثمار في تكوين اللاعبين جد مكلف لأنه يتم على المديين المتوسط والبعيد، وقد يمتد حتى عشر سنوات بالنسبة لطفل عمره تسع سنوات، فإن ذلك يعني أن هذه الشركات عليها أن تستثمر مع انتظار جني المكاسب على المدى البعيد. وهذا ليس مُتاحاً لجميع المؤسسات. لذلك سيكون على بعض شركات القطاع العام أن تحدو حدو مجموعة OCP بالاستثمار في هذه العملية كخدمة عمومية علها تعطي المثال لتلحق بها شركات القطاع الخاص الباحثة عن النجاعة والربح في الآن ذاته.

بهذه العملية، ستطلق الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم، بمعية شركائها ثورة حقيقية في منظومة الأندية، شريطة إحاطتها بشروط النجاح كما أسلفنا، والدفع بتدبير الفرق الأولى لاعتماد منهجية تسييرية عصرية لتفادي خلق شرخ بين تدبير الفئات الصغرى من طرف شركات خاصة، وتدبير للفرق الأولى غارق في الهواية.

رئيس الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم فوزي لقجع

> **ابتداء من العام 2018 تم تقريباً تعميم الشركات الرياضية داخل الأندية**

هذا النموذج سيجعل الأندية المغربية تقتني جواهر مغربية شابة في بداية مسارها وبتكوين عال وبكلفة بخسة عوض الاعتماد على "شراء" لاعبين من جنوب الصحراء ومن دول المغرب العربي بمبالغ كبيرة وبمردودية ضعيفة في جل الصفقات مما يؤثر على الميزانيات العامة للأندية ويرفع مديونيتها لمستويات قياسية. الانطلاقة العملية لهذا المشروع الضخم ستتم شهر يوليوز القادم ليتم تفعيلها ابتداء من الموسم الكروي القادم 2024-2025.

ماتت "غزة" المغربية.. ولا بواكي لها

خالد البكاري

لا يتعلق الأمر باستعارة، وغزة المقصودة في العنوان فتاة مغربية، شاء لها القدر أن يشتغل أبوها في غزة/ القطاع، وشاء لها القدر أن تولد هناك، وتيمنا بالبنت والقضية حملت اسم الأرض التي ازدادت فوق ترابها، الذي احتضنها من جديد شهيدة رفقة والديها.

وللحكاية فصول أخرى لم تروها وكالات الأنباء، ولا تراشق الجيران حول أصل وجبة عابرة للحدود، ولا نريد سماعها، لأن العجز القاسي الممزوج بجبن مخز، جعلنا في الشهور الأخيرة نهرب فعلا إلى "فن اللامبالاة".

استشهد الأب والأم أولا، في رحلة النزوح جنوبا، بعد "الضمانات" التي قدمها الاحتلال، ليكون المصير كما للمئات من شهداء اقتيدوا لـ"حفلة" إعدامات دنيئة، وبقيت "غزة" المغربية وهي التي بالكاد وصلت عامها الثامن، ترعى شقيقيها (أربع سنوات، وسنة واحدة)، فلما سمعت بوجود مغاربة عالقين في الشمال، عادت بأخويها إلى هناك في رحلة عكسية محفوفة بالمخاطر، وكأنها سمك " السلمون" الذي يعود في رحلة مضادة للمنبع من أجل الموت.

بالفعل، ستنجح في الوصول للشمال، وسيكون حظ الأشقاء الثلاثة أن تحتضنهم أسرة مغربية أخرى عالقة في جحيم الشمال، حيث القصف والحصار والجوع والقناصة.

رب الأسرة المستخيفة لم يكن سوى المنسق المغربي المكلف بمغاربة غزة، الذي سيصاب بعد أسابيع بشظية في الرأس، دخل على إثرها في غيبوبة، ونقل جنوبا إلى مستشفى النجار، حيث أجرى عملية جراحية معقدة، في ظروف استشفائية استثنائية جراء نقص المستلزمات، بما فيها وسائل التعقيم.

> **من غير "صوت المغرب" لم أجد شخصيا وسيلة إعلام وطنية حاولت أن تنقل وجهة نظر جنوب إفريقيا**

غير أنه لإنقاذ حياته، كان يحتاج لعمليات نقل دم، والمؤسف أن فصيلة دمه نادرة، مع العلم أن أكياس الدم فيما تبقى من مستشفيات قطاع غزة، تكاد تكون مثل بيضة الديك.

وتأتي البشرى من الشمال، غزة الطفلة لها الفصيلة نفسها، وللعلم فتقريبا كل أطفال غزة يعرفون فصيلة دمهم، لتتقدم نحو مستشفى "الشفاء"، أو ما تبقى منه في الحقيقة، وتتبرع بدمها، الذي بدوره سيسافر جنوبا (الدم طبعا دون صاحبته) في مغامرة الهروب من القصف ومراوغته، ويكتب للرجل الطيب حياة جديدة.

ليلة الثلاثاء 26 فبراير الأخيرة، كان القصف الهمجي أكثر "شراسة"، أصيبت غزة.

حملها الرجل الذي أنقذته دماؤها الزكية إلى غرفة العمليات بمستشفى الشفاء، والذي بدوره كان قد عاد مجبرا للشمال بعد "شبه تعافيه" لضرورات أسرية (الكل معرض إما للقتل أو التشرد، والكل يعمل على ألا يجتمع الاثنان)، لكن الموت الذي أخطأها مرات ومرات، كان في انتظارها.

غزة (8 سنوات)، سلمى النكاف (24 سنة/ بني ملال) وطفلتها، عماد الشيخي (28 سنة)، إبراهيم عقبي (ابن مدينة تنغير، وكان يعمل سائق إسعاف لدى الهلال الأحمر الفلسطيني)، صفية الحريري (من تاونات/موظفة بالأونروا)، خديجة أيت القاضي (28 سنة من الخميسات)، حفصة كيناني (39 سنة/ من تيفلت)، وطفلاها، كلثوم الشاشي (من صفرو)، عبد السلام السراج (من ورزازات)، ثريا سيف الدين (48 سنة من وزان)، وآخرون لا نعرفهم، ولكنهم استشهدوا، وفي قلوبهم غصص.

لا يعرف كثير من المغاربة شيئا عن إخوانهم وأخواتهم من مغاربة غزة، ومغاربة فلسطين عموما.

ينقسم المغاربة في فلسطين إلى مجموعتين، الأولى هي الفلسطينيون من أصول مغربية، وهؤلاء شرع المغرب في تجنيسهم بعد إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية، بعد إثباتهم لما يفيد أصولهم المغربية، ولو كان الجد الأول قد وفد على فلسطين منذ زمن بعيد (كثير من المغاربة في الماضي كانوا يذهبون لزيارة المسجد الأقصى موازاة مع موسم الحج، ومنهم من استقر بفلسطين بعدها حتى قبل مرحلة الانتداب البريطاني)، أما الفئة الثانية فهم المغاربة غير الفلسطينيين، ممن وفدوا على الأراضي المحتلة بسبب العمل في المنظمات الإنسانية، أو من النساء المتزوجات بفلسطينيين، وهن يشكلن الغالبية هناك.

استطاع المغرب أن يؤمن خروج أغلب المغاربة العاملين هناك مع أسرهم من الفئة الثانية، فيما الفئة الأولى من الفلسطينيين المغاربة، وكذلك من المغربيات المتزوجات بفلسطينيين، قرر أغلبهم البقاء لأسباب أسرية ووطنية، ومع ذلك يجب أن نعترف بمجهودات سفارة المغرب برام الله، التي استطاعت التواصل معهم (تتوفر سفارة المغرب برام الله على قاعدة بيانات مضبوطة لكل المغاربة من الفئتين)، وتأمين إدخال حد أدنى من احتياجاتهم، بما فيها الغذائية، والتي قد تتعثر لأسباب أمنية مرتبطة بواقع القصف والمواجهات المسلحة، ويقوم مغاربة بالتنسيق بينهم في ظروف صعبة للوصول لجميع العائلات المغربية، ومنهم من هم مزدادون بالمغرب، وفضلوا البقاء للقيام بهذه المهام التطوعية.

إنهم مقاومون من نوع آخر، وباعتبار أن تركيبة المغاربة بفلسطين هي نفسها تركيبة الجزائريين هناك (أي فلسطينيون من أصول جزائرية، وجزائريات متزوجات بفلسطينيين، وجزائريين عاملين في جمعيات الإغاثة وما يشبهها، فقد استفادت الأسر الجزائرية مما توفره سفارة المغرب لمواطنيها من احتياجات، لأسباب إنسانية، ولأسباب لها علاقة بالعلاقات المتينة بين الأسر المغربية والجزائرية هناك.

ويظل مشكل الوصول للمياه الصالحة للشرب عالقا، ويكتفي المغاربة هناك بتغلية مياة البحر كما يفعل الغالبية، وتظل إمكانات التعرض للقصف أو التشرد مرتفعة جدا، وهي التي تعيق الوصول لبعض الأسر المغربية في أحايين كثيرة.

إننا بإزاء قيم حقيقية للتضامن والتضحية ونكران الذات، للأسف لا نعلم عنها إلا القليل.

والموضوعية تتطلب الاعتراف بما تقوم بها سفارة المغرب في رام الله، رغم كل الملاحظات المشروعة حول الدبلوماسية المغربية في تعاطيها مع ما يقع في غزة، ومن ذلك الإصرار غير المقبول على الاستمرار في التطبيع الرسمي مع نظام الأبارتهايد والإبادة الجماعية.

the Voice
صوت المغرب

الصوت هنا... **صوت المغرب**.

حبر الختام

عصام واعيس

حَيّ "ميسي المغرب"

"قرر الأمريكان مرّة شن حرب على حيّنا، فأرسلوا في البداية طائرات استطلاع لأخذ صور جوية، وحين بدأت القيادة تتوصل بالصور جُن جنونها واستشاط رئيس الأركان غضبا لعميان الطيّارين أوامره: طلبتُ منكم التقاط صُورٍ لا قصفَ الحيّ! ردّ الطيّارون: سيدي لم نقصفه، وجدناه مدمّرا كما يظهر في الصور!"، هذه نكتة تجري على ألسنة ساكنة حي "ميسي المغرب"، بسيدي سليمان بصيغ مختلفة، أحيانا يكون مصدر القصف أمريكا وأحيانا الروس وأحيانا كائنات فضائية وصلتها رائحة واد بهت النتنة فقرّرت الانتقام..

حين جاءت الصحافة للحي، في حدود اطلاعي، كأنما دخلت من باب خلفي أو سرداب خفي وتسلّلت مِنّه مباشرة إلى بيت الطفل عدنان الحجام وأخذت مشاهد البهجة والفرح والامتنان ثم عادت من حيث أتت! خرجت بتقارير تحتفي بظهور موهبة واعدة في حي من أحياء المغرب العميق وانتباه الدولة إلى هذه الموهبة، وانتهت الحكاية..

أفهم أن يتحوّل حي محاصر بأسئلة التنمية المؤجلة وعقود من الخذلان إلى خلفية باهتة في مشهد الرياضة، لكن في بقية المشاهد يجب أن يحتل الصدارة. إذا تظافرت عوامل حميدة على إنقاذ موهبة غضة من قضاء طفولتها في اللعب بين ركام البيوت المخرّبة والطرق المعفّرة ومطارح النفايات والقبور وأعين الكلاب الضالة، فماذا عن البقية؟

لا عيب في رؤية قصة رياضية أسرة في مشهد طفل يهزم الخراب بقدميه ويسجل أهدافا ضد نخبة محلية وجدت في الهشاشة والفراغ والجهل وسائل لبناء معاقل انتخابية حصينة. لا عيب في راوية قصص "الناجين" طالما لا تحجب قصص "المتورطين" في أحجية البؤس.

ماذا عن أتراب "ميسي المغرب" الذين يستنشقون رائحة العفن كل ليلة، ويعيشون في حي لا يتوفر على ملاعب قرب، ولا حدائق، ولا طرق معبدة، ولا هندسة عمرانية واضحة المعالم، ولا بقية من طبيعة تسرح فيها أعينهم الصغيرة، ولا أزقة نظيفة، ولا أي شيء غير القبح ووحش الإسمنت!

لماذا على هؤلاء الصغار تحمل آثار تحويل معلمة طبيعية آسرة هي وادي بهت إلى مستنقع للمياه العادمة (قصة هذا الوادي

> **النخب المحلية ترفل في ظل ظليل جرّاء عوامل عديدة من بينها انشغال صحافة المركز بقضايا المركز**

مشروع جائزة في الصحافة البيئية).

ماذا يتردد في محيط الأطفال بهذا الحي؟ كثير من النباح والصفير والصراخ في الخواء. ماذا بعد المدرسة؟ ربما قطع ضفتي واد تتحلّل في جوفه جثث الطيور المتعفنة والنفايات، أو السباحة فيه من باب المفاخرة بين الأتراب، أو مطاردة الكلاب الضالة أو الركض بين القبور وغيرها من حماقات خطِرة في محيط لا يسمح للطفل باستيعاب العالم واستنفاد حماسه إلا بالجري كثيرا في اتجاهات متضاربة..

أين هذا الواقع من توصيات لجنة النموذج التنموي الجديد؟ ما دور الجماعات الترابية؟ ماذا يفعل المجلس البلدي والمجلس الإقليمي والجهة؟ ولماذا لا تسأل سلطة عليا واحدة السلطة المحلية بسيدي سليمان أسئلة من قبيل: من حوّل هذا الحي وأحياء أخرى معه إلى مناطق نفوذ محصنة؟ من يتعامل بفلسفة المافيات ويحكم على أحلام جيل كامل بالفناء والجمود؟ لماذا توقفت جرافات الإصلاح هنا (وفعليا توقفت جرافات كانت أتت لتعبيد طريق بالحي)؟ في ما تذهب ضرائب وخيرات هذه المدينة وإلى من؟ وإلى متى؟ لماذا لا يتبقى من الأماني والوعود كلّها سوى نعيق الغربان وأصوات الكلاب..

النخب المحلية في المغرب ترفل في ظل ظليل جرّاء عوامل عديدة من بينها انشغال صحافة المركز بقضايا المركز، وضعف الكتابة المضادة، الكتابة عن الهامش ضدا في المركز، وهشاشة الصحافة الجهوية وانهمار حروفها - في حالات - على حقول أصحاب الوجاهة والنفوذ والمال، على غرار بعض حالات الصحافة الوطنية. وفي صحافة الحقول هذه القصة الإنسانية تخبو لصالح القصة السياسية، والقصة السياسية في عمقها فارغة من أي رسالة وجودية، نوع من تدوير هواجس المتنافسين على حيازة السلطة والمال.. أو السلطة بالمال.. أو المال بالسلطة.. في قوالب لغوية جامدة.. ومعارك لا تنتهي.. أو لا تنتهي أبدا في مصلحة المعذبين في الأرض!

هذا الرأي محاولة للتركيز على "المغرب" في عبارة "ميسي المغرب"، نوع من الأمل العبثي في أن يحدث شيء ما ينتشل "القصف" من مخيال الساكنة، وأقران عدنان من الضياع..

the Voice
صوت المغرب

صوت المغرب... صدى الحقيقة